

# الروض الأنيق

## في سيرة أبي بكر الصديق

j

محمد حامد محمد

# مُقَـدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**وبعد...**

فإنه لما كانت محبة أصحاب رسول الله ﷺ فرضًا واجبًا علىٰ كل مسلم وكان شكرهم والثناء عليهم وموالاتهم من ألزم الفروض وأوجب الواجبات، ولما كانت المحبة لا تتم إلا بالمعرفة، والوقوف علىٰ فضائلهم ومناقبهم، وإحسانهم وشهادة الله ورسوله لهم، فإنني أحببت أن أيسر ذلك لإخواني المسلمين بجمع فضائل خلفاء رسول الله ﷺ، وبيان ثناء الله عليهم وشهادة النبي ﷺ لهم تذكيرًا بحقهم علىٰ كل مسلم ومؤمن، وقيامًا بجزء من الواجب علينا نحوهم وتبصيرًا لإخواني المسلمين بحال من يطعن فيهم أو ينقصهم.

لما توفي النبي o ارتجت العرب واختلف المسلمون ولا سيما الأنصار والمهاجرون في الخلافة فتدارك الأمر أبو بكر بحكمته وسرعة بديهته وتمت له البيعة بالإجماع. وقد برهن ﷺ أنه أكفأ رجل وأنه رجل الساعة وقتئذ لأن العرب عندما سمعوا بوفاة رسول الله ارتد كثير منهم واستفحل أمر المرتدين في جزيرة العرب وظهر المتنبئون وجمعوا جيوشهم وثاروا علىٰ المسلمين. فمنهم من خرج عن الإسلام ومنهم من منع الزكاة ووضع الصلاة وأباح المحرمات وطرد كثيرا من الولاة، ولولا شدة تمسك أبي بكر بسنة رسول الله وقوة عزيمته وشجاعته لتغلب المرتدون وقضوا علىٰ الإسلام قضاء مبرما. ولقد هال أمر المرتدين في بادئ الأمر كبراء الصحابة، ولكن أبا بكر ثبت ولم يتزعزع وظهرت كفايته في إرسال الجيوش واختيار القواد والولاة إلىٰ جميع أنحاء العرب، فكبح جماح المرتدين وهزمهم شر هزيمة واستتب الأمن في البلاد في أقل من سنة. ولم يقتصر علىٰ ذلك بل بعث الجيوش إلىٰ العراق والشام فانهزمت الفرس والروم ومن والاهمال من العرب وتعدىٰ المسلمون في فتوحهم شبة جزيرة العرب. وقد تم ذلك كله في مدة خلافته وهي سنتان وأشهر، ولا شك أن هذه مدة قصيرة بالنسبة إلىٰ ما تم في خلالها من جلائل الأعمال، وقد مهد بذلك طريق الفتوحات الإسلامية لمن جاء بعد من الخلفاء واتضحت بذلك حكمة رسول الله في اختيار أبي بكر بعده.

وقد كان ﷺ مع ذلك لطيفا وديعا متواضعا زاهدا في الدنيا متقشفا عادلا غير طامع في ملك أو غنىٰ، بل كان كل همه نشر الإسلام وتوطيد أركانه واتباع سنة رسول الله. وقد كان مؤلفا لقلوب المسلمين. وعلىٰ العموم كان خير قدوة لهم في دينهم ودنياهم. وقد اختار لهم خير من يصلح للخلافة بعده وهو عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان وزيره وقاضيه وملازما له طول مدة خلافته وذلك حفظا لكيان الإسلام.

هذا هو أبي بكر الصديق خليفة رسول الله الذي عنيت بترجمة حياته وشرح خلافته ومآثره في كتابي هذا.

وإني لأرجو الله - أن أكون قد وفقت في عملي، كما أرجو أن ينتفع به المسلمون ويتدبروا في سير سلفهم الصالح بعد أن سهلت لهم ما يتعسر فهمه من حيث شرح المواقع وسير الرجال وضبط التواريخ وتفسير الألفاظ الغامضة تسهيلًا للبحث والمراجعة وتوفيرًا للوقت.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه

**محمد حامد محمد**

# ! +

# في التعريف بأبي بكر الصديق

## أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عبد الله، بن عثمان، بن عامر، بن كعب، بن سعد، بن تيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب. يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، كنيته أبو بكر. وعثمان هو اسم أبي قحافة. وأم أبي بكر سلمىٰ. وتكنىٰ أم الخير، بنت صخر بن عامر، ابنة عم أبيه، أسلمت وهاجرت.

ولد أبو بكر بعد الفيل بسنتين وستة أشهر[(١)].

ولقب أبو بكر رضي الله عنه بألقاب عديدة، كلها تدل علىٰ سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب، منها:

### ١- العتيق:

لقبه به النبي ﷺ، فقد قال له ﷺ: «**أنت عتيق الله من النار**»، فسمي عتيقا. وفي رواية عائشة قالت: دخل أبو بكر الصديق علىٰ رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أبشر، فأنت عتيق الله من النار**». فمن يومئذ سُمي عتيقًا.

### ٢- الصدِّيق:

لقبه به النبي ﷺ، ففي حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: إن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم فقال: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[(٢)].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٩)، الإصابة (٢/ ٣٤١).

(٢) رواه البخاري (٧ / ٣٢) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا

وقد لقب بالصديق لكثرة تصديقه للنبي ﷺ، وفي هذا تروي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول: لما أسري بالنبي ﷺ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعىٰ رجال إلىٰ أبي بكر، فقالوا: هل لك إلىٰ صاحبك؟ يزعم أن أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر: الصديق(١).

وقد أجمعت الأمة علىٰ تسميته بالصديق لأنه بادر إلىٰ تصديق الرسول ﷺ، ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبدًا(٢).

### الصديق أبلغ من الصادق:

الوصف بالصديق أكمل من الوصف بالصادق، فكل صديق صادق، وليس كل صادق صديقًا. وأبو بكر ليست فضيلته في مجرد كونه صادقًا ليس غيره أكثر تحريًا للصدق منه؛ بل في أنه علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلًا، وصدق ذلك تصديقًا كاملًا في العلم والقصد والقول والعمل.

### ٣- الصاحب:

لقبه به الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا

---

خليلًا، وباب مناقب عمر بن الخطاب، وباب مناقب عثمان بن عفان وأبو داود رقم (٤٦٥١) في السنة، باب في الخلف، والترمذي رقم (٣٦٩٧) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢، ٦٣)، وصححه وأقره الذهبي.

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ١٧٢).

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:٤٠].

وقد أجمع العلماء علىٰ أن الصاحب المقصود هنا هو: أبو بكر ﵁ فعن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحت قدميه!! فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»(١).

قال الحافظ ابن حجر ؒ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] فإن المراد بصاحبه هنا أبو بكر بلا منازع(٢).

## ثانيًا: مولده وصفته الْخَلْقِيَّة:

لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا بسنتين وأشهر، ولم يحددوا عدد الأشهر(٣).

وأما صفته الخَلْقية، فقد كان يوصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن، وفي هذا يقول قيس بن أبي حازم: دخلت علىٰ أبي بكر، وكان رجلًا نحيفًا، خفيف اللحم أبيض(٤). وقد وصفه أصحاب السير من أفواه الرواة فقالوا: إن أبا

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٩، ١٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وباب هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة، وفي تفسير سورة براءة، باب قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾، ومسلم رقم (٢٣٨١) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر ﵁، والترمذي رقم (٣٠٩٥) في التفسير، باب ومن سورة التوبة.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٨).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٥٦).

(٤) الطبقات لابن سعد (٣/ ١٨٨)، إسناده صحيح.

بكر رضي الله عنه اتصف بأنه كان أبيض تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفًا خفيف العارضين، أجنأ[١]، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه[٢] رقيقًا معروق الوجه[٣]، غائر العينين[٤]، أقنىٰ[٥]، حمش الساقين[٦]، ممحوص الفخذين[٧]، كان ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع[٨]، ويخضب لحيته وشيبه بالحناء والكتم[٩].

### ثالثًا: زوجاته وأولاده:

تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة بنت سعد فولدت له عبد الله وأسماء، أما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي ﷺ وبقي إلىٰ خلافة أبيه ومات في خلافته وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر، وولد لعبد الله اسماعيل فمات ولا عقب له، وأما أسماء فهي ذات النطاقين، وهي التي قطعت قطعة من نطاقها فربطت به علىٰ فم السفرة في الجراب التي صنعت لرسول الله وأبي بكر عند قيامها بالهجرة وبذلك سميت ذات النطاقين وهي أسن من عائشة وكانت أسماء أشجع نساء الإسلام وأثبتهن جأشا وأعظمهن تربية للولد علىٰ الشهامة، وعزة النفس، تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد ثم طلقها فكانت مع ابنها عبد الله بن الزبير حتىٰ قتل بمكة وعاشت مائة سنة حتىٰ عميت، وماتت.

وتزوج أبو بكر أيضًا في الجاهلية أم رومان[١٠] فولدت له عبد الرحمن،

---

(١) الجنأ: ميل في الظهر.

(٢) حقويه: الحقو هو معقد الإزار، يعني الخصر.

(٣) المعروق: هو قليل اللحم.

(٤) غائر العينين: دخلت في الرأس.

(٥) أقنىٰ واستقنىٰ: حفظ حياءه ولزمه.

(٦) حمش الساقين: دقيق الساقين.

(٧) الممحوص: هو الشديد الخلق في الفخذين، مع قلة اللحم بهما.

(٨) الأشاجع: هو مفاصل الأصابع.

(٩) البخاري، رقم (٥٨٩٥)، ومسلم (٢٣٤١).

(١٠) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥١)، والمنتظم (٤/ ٥٦).

وعائشة زوجة رسول الله، توفيت في حياة رسول الله في سنة ست من الهجرة، فنزل رسول الله قبرها واستغفر لها وكانت حية وقت حديث الإفك، وحديث الإفك في سنة ست في شعبان، فعبد الرحمن شقيق عائشة، شهد بدرًا وأحدًا مع الكفار ودعا إلىٰ البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «**متعنا بنفسك**»[(١)] وكان شجاعًا راميًا أسلم في هدنة الحديبية وحسن إسلامه، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل وهو من أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة بن الطفيل الذي كان من قواد بني حنيفة المشهورين، رماه بسهم في نحره فقتله، كما سيأتي ذكر ذلك في موقعة اليمامة، وكان عبد الرحمن أسن ولد أبي بكر وكان فيه دعابة، توفي فجأة بمكان اسمه حبش علىٰ نحو عشرة أميال من مكة وحمل إلىٰ مكة، ودفن فيها وكان موته سنة ٥٣ هـ.

وتزوج أبو بكر في الإسلام -أسماء بنت عميس[(٢)]- وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحي، وأما محم بن أبي بكر، فكان يكنىٰ أبا القاسم، وكان من نسابة قريش، ولاه علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصر فقاتله صاحب معاوية وظفر به فقتله، وولد له القاسم.

وتزوج أيضًا في الإسلام -حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي[(٣)]- فولدت له جارية سمتها عائشة أم كلثوم تزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له زكريا، وعائشة، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركة (٣/ ٥٣٩).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥١)، والمنتظم (٤/ ٥٦).
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥١)، والمنتظم (٤/ ٥٦).

قال الأستاذ واشنجتون إيرفنج في كتاب «محمد وخلفاؤه»:

كان أبو بكر رجلًا عاقلًا سديد الرأي وقد كان في بعض الأحيان شديد الحذر والحيطة في إدارته لكنه كان شريف الأغراض غير محب للذات، ساعيًا للخير لا لمصلحته الذاتية فلم يبتغ من وراء حكمه مطامح دنيوية بل كان لا يهمه الغنىٰ، زاهدا في الفخر، راغبا عن اللذات ولم يقبل أجرًا علىٰ خدماته غير مبلغ زهيد يكفي لمعاش رجل عربي عادي ولم يكن له سوىٰ جمل وعبد، وكان يوزع ما كان يرد إليه في كل يوم جمعة إلىٰ المحتاجين، والفقراء، ويساعد المعوزين بماله الخاص[(١)].

وليس من الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده، وأدركوا النبي ﷺ وأدركه أيضا بنو أولاده إلا أبو بكر من جهة الرجال والنساء، فكلهم آمنوا بالنبي وصحبوه، فهذا بيت الصديق، فأهله أهل إيمان، ليس فيهم منافق ولا يعرف في الصحابة مثل هذه لغير بيت أبي بكر رضي الله عنهم.

رابعًا: منزلته قبل الإسلام:

كان معظمًا في قريش، محببًا، مؤلفًا، خبيرًا بأنساب العرب وأيامهم، وكانوا يألفونه لمقاصد التجارة ولعلمه وإحسانه، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتىٰ بلغ برك الغماد[(٢)] لقيه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب سيد القارة[(٣)] فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي».

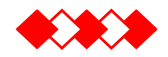
**قال ابن الدغنة:** فإن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم،

(١) نقلًا من «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» (ص٢٠) ط. دار الكتاب العربي.
(٢) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر. وقيل بلد باليمن. (معجم البلدان لياقوت).
(٣) القارة قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة.

وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين علىٰ نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، وقال لهم: «إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين علىٰ نوائب الحق؟» الحديث[(١)].

فقد وصفه ابن الدغنة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي.

ولم يعلم أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين. ولم يكن له عندهم عيب إلا الإيمان بالله ورسوله[(٢)].



(١) رواه البخاري (٧ / ١٨٠- ١٩٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة.
(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٦٨، ٣١).

# @ +

## إسلامه ودعوته وابتلاؤه وهجرته الأولى

### أولاً: إسـلامه:

كان إسلام أبي بكر رضي الله عنه وليد رحلة إيمانية طويلة في البحث عن الدين الحق الذي ينسجم مع الفطرة السليمة ويلبي رغباتها، ويتفق مع العقول الراجحة والبصائر النافذة، فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار، قطع الفيافي والصحاري، والمدن والقرىٰ في الجزيرة العربية، وتنقل من شمالها إلىٰ جنوبها، ومن شرقها إلىٰ غربها، واتصل اتصالًا وثيقًا بأصحاب الديانات المختلفة وبخاصة النصرانية، وكان كثير الإنصات لكلمات النفر الذين حملوا راية التوحيد، راية البحث عن الدين القويم، فقد حدث عن نفسه فقال: كنت جالسًا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نُفيل قاعدا، فمر ابن أبي الصلت، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: وهل وجدت؟ قال: لا، فقال:

كـــل ديـــن يـــوم القيامـــة إلا ... مـــا مـــضى فـــي الحنيفيـــة بـــور[1]

أما إنَّ هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم، قال: ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي يُنتظر ويبعث، قال: فخرجت أريد ورقة بن نوفل -وكان كثير النظر إلىٰ السماء كثير همهمة الصدر- فاستوقفته، ثم قصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي، إنا أهل الكتب والعلوم، ألا إن هذا النبي الذي يُنتظر من أوسط العرب نسبًا -ولي علم بالنسب- وقومك أوسط العرب نسبًا، قلت: يا عم وما

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٥٢).

يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له؟ إلا أنه لا يظلم، ولا يُظلم ولا يُظالم، فلما بُعث رسول الله ﷺ آمنت به وصدقته[١]، وكان يسمع ما يقوله أمية بن أبي الصلت، في مثل قوله:

ألا نبي لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس مجرانا

إني أعوذ بمن حج الحجيج له ... والرافعون لدين الله أركانا

لقد عايش أبو بكر هذه الفترة ببصيرة نافذة، وعقل نير، وفكر متألق، وذهن وقاد، وذكاء حاد، وتأمل رزين ملأ عليه أقطار نفسه، ولذلك حفظ الكثير من هذه الأشعار، ومن تلك الأخبار: فعندما سأل الرسول الكريم ﷺ أصحابه يومًا -وفيهم أبو بكر الصديق- قائلًا: «**من منكم يحفظ كلام قس بن ساعدة في سوق عكاظ؟**»، فسكت الصحابة، ونطق الصديق قائلًا: إني أحفظها يا رسول الله، كنت حاضرًا يومها في سوق عكاظ، ومن فوق جمله الأورق وقف قس يقول: أيها الناس، اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، إن من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعِبَرًا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لن تغور، ليل داج، وسمات ذات أبراج!!

يُقسم قس: إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. ما لي أرىٰ الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا[٢].

وقد رأىٰ رؤيا لما كان في الشام فقصها علىٰ بحيرا الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأي شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك، فإنه يبعث بنبي من قومك، تكون وزيره في

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٥٢).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٥٢).

حياته، وخليفته بعد موته، فأسر ذلك أبو بكر في نفسه[(١)].

لقد كان إسلام الصديق بعد بحث وتنقيب وانتظار، وقد ساعده علىٰ تلبية دعوة الإسلام معرفته العميقة وصلته القوية بالنبي ﷺ في الجاهلية، فعندما نزل الوحي علىٰ النبي ﷺ وأخذ يدعو الأفراد إلىٰ الله، وقع أول اختياره علىٰ الصديق رضي الله عنه؛ فهو صاحبه الذي يعرفه قبل البعثة بدماثة خلقه، وكريم سجاياه، كما يعرف أبو بكر النبي ﷺ بصدقه، وأمانته وأخلاقه التي تمنعه من الكذب علىٰ الناس، فكيف يكذب علىٰ الله؟.

فعندما فاتحه رسول الله ﷺ بدعوة الله وقال له: «... **إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلىٰ الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلىٰ الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة علىٰ طاعته**»[(٢)].

## هو أول من أسلم...

أول من آمن بالرسول باتفاق أهل الأرض أربعة: أول من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة. وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتىٰ أبدىٰ عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**»[(٣)].

فسلم، وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبىٰ علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا. ثم إن عمر ندم فأتىٰ منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتىٰ النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر[(٤)] حتىٰ أشفق

(١) الخلفاء الراشدون، محمود شاكر (ص ٣٤).
(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣١)، ط. دار المعرفة بيروت.
(٣) غامر: خاصم أي دخل في غمرة الخصومة.
(٤) أي: تذهب نضارته من الغضب.

أبو بكر[(١)] فجثىٰ علىٰ ركبتيه فقال يا رسول الله: والله إنا كنت أظلم مرتين[(٢)] فقال النبي ﷺ : «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين. فما أوذي بعدها**»[(٣)].

وفي رواية: «كانت بين أبي بكر وعمر محاورة[(٤)] فأغضبه أبو بكر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتىٰ أغلق بابه في وجهه. قال: وغضب النبي ﷺ » وفيه: «**إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»[(٥)].

فهذا يبين فيه أنه لم يكذبه قط، وأنه صدقه حين كذبه الناس طرًا، وهذا ظاهر في أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة.

والناس متنازعون في أول من أسلم فقيل: أبو بكر أول من أسلم، فهو أسبق إسلامًا من علي، وقيل: إن عليًا أسلم قبله، لكن علي كان صغيرًا، وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء.

ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع؛ فيكون هو أكمل سبقًا بالاتفاق، وأسبق علىٰ الإطلاق علىٰ القول الآخر.

**وقال الشيخ في موضع آخر:** وأما خديجة وعلي وزيد فهؤلاء كانوا من عيال النبي ﷺ وفي بيته. وخديجة عرض عليها أمره لما فاجأه الوحي وصدقته ابتداء قبل أن يؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة.

---

(١) أن يكون لعمر من الرسول ما يكره.

(٢) لأنه هو الذي بدأ.

(٣) لما أظهره النبي ﷺ من تعظيمه.

(٤) مراجعة.

(٥) أخرجه البخاري (٧ / ١٧، ١٨) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذًا خليلًا»، وفي تفسير سورة الأعراف، باب ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وعلي يمكن أنه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وإن كان علي لم يبلغه. وقوله في حديث عمرو بن عبسة: قلت يا رسول الله: من معك علىٰ هذا الأمر؟ قال: «**حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به**»(١) موافق لهذا. أي: اتبعه من المكلفين المدعوين(٢).

## ثانيًا: دعـوته:

أبو بكر أول من دعا إلىٰ الله، وكان له قدر عند قريش لما فيه من المحاسن، فجعل يدعو الناس إلىٰ الإسلام من وثق به، فأسلم علىٰ يديه أكابر أهل الشورىٰ: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وهذا أفضل عمل. وكان يخرج مع النبي ﷺ يدعو معه الكفار إلىٰ الإسلام في المواسم ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة، بخلاف غيره. كان يجاهد الكفار مع الرسول ﷺ قبل الأمر بالقتال بالحجة والبيان والدعوة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ وهذه السورة -سورة الفرقان- مكية نزلت قبل أن يهاجر النبي ﷺ وقبل أن يؤمر بالقتال. فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال، فإنه جاهد قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال، منتصبًا للدعوة إلىٰ الإيمان بمكة والمدينة يدعو المشركين ويناظرهم، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر**»(٣) فالصحبة بالنفس، وذات اليد هو المال. فأخبر النبي ﷺ أنه أمن الناس عليه في النفس، والمال(٤).

## ثالثًا: ابتـلاؤه:

أول من أوذي في الله بعد الرسول ﷺ أبو بكر -آذاه الكفار علىٰ إيمانه حتىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٦٩).
(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (جـ٣ ص٢٦).
(٣) أخرجه الترمذي في مناقب الصديق رقم (٣٧٣٩).
(٤) منهاج السنة (جـ٣/ ٤)، (جـ٤/ ٨، ١٦٦، ٧، ٥٤، ٢٤٥، ٤٣).

خرج من مكة مهاجرًا إلىٰ أرض الحبشة- روىٰ البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية» فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتىٰ بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين علىٰ نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أما بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشىٰ أن يفتن نساءنا وأبنائنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدأ لأبي بكر فابتنىٰ مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلىٰ ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك علىٰ أن يعبد ربه في داره، فقد تجاوز ذلك فابتنىٰ مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر علىٰ أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبىٰ إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتىٰ ابن الدغنة إلىٰ أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر علىٰ ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي،

فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضىٰ بجوار الله آ . الحديث .

ولما هاجر رسول الله ه وأبو بكر جعلوا في كل واحد منهما ديته لمن قتله أو أسره[١].

وحثوا التراب علىٰ رأس أبي بكر، قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، قال: لقي أبا بكر سفيه من سفهاء قريش حين خرج من جوار ابن الدغنة وهو عامد إلىٰ الكعبة فحثا علىٰ رأسه ترابًا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل، فقال له أبو بكر: ألا ترىٰ ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك[٢].

## رابعًا: دفاعه عن النبي ه :

لما أراد المشركون أن يضربوا رسول الله ه أو يقتلوه بمكة دافع عنه الصديق فضربوه، عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ه ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلىٰ النبي ه وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتىٰ دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[٣] وفي حديث أسماء: فأتىٰ الصريخ إلىٰ أبي بكر، فقال: أدرك صاحبك. قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا علىٰ أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من

(١) منهاج السنة (جـ٣/ ٦)، (جـ٢٨٨، ٢٦٨، ٣١).
(٢) البداية والنهارية (جـ٣ ص٩٥).
(٣) أخرجه البخاري (٧ / ٣٤) في فضائل أصحاب النبي ه ، باب قول النبي ه : «لو كنت متخذًا خليلًا».

غدائره إلا رجع معه[١][٢].

## خامسًا: إنفاقه الأموال لتحرير المعذبين في الله:

روىٰ الإمام أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. فبكىٰ أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله**»[٣] وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها علي ولا غيره.

«وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه»[٤].

وإنفاق أبي بكر لم يكن نفقة علىٰ النبي ﷺ في طعامه وكسوته فإن الله أغنىٰ نبيه عن مال الخلق أجمعين؛ بل كان معونة له علىٰ إقامة الإيمان. وكان إنفاقه في أول الإسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله مثل اشترائه سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال، حتىٰ قال عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالًا[٥]، وإنفاقه علىٰ المحتاجين من أهل الإيمان في نصر الإسلام حيث كان أهل الأرض قاطبة أعداء الإسلام، وتلك النفقة ما بقي يمكن مثلها، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق علىٰ صحته -لما كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد كلام-: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدأحدهم ولا نصيفه»[٦]. فإن إطعام

(١) أخرجه أبو يعلىٰ، انظر: فتح الباري (جـ٧/ ١٦٩).

(٢) منهاج السنة (جـ٣/ ٤)، جـ٤/ ٢٥٢، ١٦٦، ١٦٨).

(٣) المسند (جـ٢/ ٢٥٣) وفي رواية «وقال: وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك» المسند (جـ٢/ ٢٦٦)، ورویٰ الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ «ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة» (رقم ٣٧٤١).

(٤) أخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا (تأريخ الخلفاء ص٣٨).

(٥) أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٧).

(٦) رواه البخاري (٧/ ٢٧، ٢٨) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت

الجائع من جنس الصدقة المطلقة التي يمكن كل واحد فعلها إلىٰ يوم القيامة. وقال يعقوب بن سليمان في تأريخه: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، حدثنا هشام عن أبيه: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم، فأنفقها في سبيل الله؛ أعتق بلالًا، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس[(١)]. وقال أبو قحافة له: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو اعتقت قومًا يمنعونك. فقال: إني أريد ما أريد[(٢)].

ولما هاجر استصحب ماله فجاء أبو قحافة، وقال لأهله: ذهب أبو بكر بنفسه فهل ترك ماله عندكم أو أخذه؟ قالت أسماء: فقلت: بل تركه، ووضعت في الكوة شيئًا وقلت هذا هو المال لتطيب نفسه أنه ترك ذلك لعياله، ولم يطلب أبو قحافة منه شيئًا. وهذا يدل علىٰ غناه. وأصحاب الصفة كانوا فقراء فحث النبي ﷺ علىٰ طعمتهم فذهب بثلاثة، وانطلق نبي الله بعشرة وكان الصديق ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة لقرابة بعيدة، وكان ممن يتكلم في الإفك، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢] فقال أبو بكر: بلىٰ والله أحب أن يغفر الله لي، فأعاد عليه النفقة. والحديث بذلك ثابت في الصحيحين.

## الفضل بالسبق إلى الإنفاق والقتال وهو أسبقهم إليهما...

وكل آية نزلت في مدح المنفقين في سبيل الله فهو أول المرادين بها من الأمة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد:١٠] فالذين سبقوا إلىٰ الإنفاق والقتال قبل

---

متخذًا خليلًا، ومسلم رقم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(١) وأخرج سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلىٰ المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون علىٰ الإسلام.

(٢) وفي رواية ابن جرير قال: «يا أبت إني أريد ما عند الله».

الحديبية أفضل ممن بعدهم. وأبو بكر أفضل من هؤلاء كلهم، فإنه من حين آمن بالرسول ﷺ ينفق ماله ويجاهد بحسب الإمكان.

وليس كل من سبق إلىٰ الإسلام كان أفضل من غيره، ولهذا كان عمر ممن أسلم بعد تسعة وثلاثين وهو أفضل من أكثرهم بالنصوص الصحيحة. وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٢٠](١).

## سبقه عمر في الإنفاق..

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مني مالًا، فقال النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله، وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: «**أبقيت لهم الله ورسوله**». قلت: لا أسابقه إلىٰ شيء أبدًا» رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح(٢)(٣).

## أبو بكر صاحب النبي ﷺ المطلق:

## الصحبة، وفضلها، ومقاصدها وتبريزه فيها:

الصحبة: اسم جنس تعم قليل الصحبة وكثيرها فيقال: صحبه ساعة، ويومًا، وجمعة، وشهرًا، وسنة، وصحبه عمره كله.

## فضل صحبة النبي ﷺ:

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يأتي زمان يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من صحب النبي ﷺ؟**»، وفي لفظ: «**هل فيكم من رأىٰ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم**

(١) منهاج السنة (جـ٤ ص٤٥، ٢٨٩، ٤٢، ١٣٦).
(٢) رواه أبو داود في الزكاة (رقم ١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (رقم ٣٦٧٦).
(٣) منهاج السنة (جـ٤/ ٤٥، ٢٨٩).

**تغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأىٰ من رأىٰ من رأىٰ رسول الله»** وفي لفظ: «**من صحب من صحب من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**»، وفي لفظ: «**فيذكر الطبقة الرابعة كذلك..**»[(١)].

فقد علق النبي ﷺ الحكم بصحبته وعلق برؤيته وجعل فتح الله علىٰ المسلمين بسبب من رآه مؤمنًا به. وهذه الخاصية لا تثبت لأحد غير الصحابة ولوكانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه ﷺ .

## تبريز أبي بكر فيها:

والصديق في ذروة سنام الصحبة وأعلا مراتبها؛ فإنه صحبه من حين بعثه الله إلىٰ أن مات؛ فإنه لو أحصىٰ الزمان الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي ﷺ لوجد ما يختص به أبو بكر أضعاف ما اختص به واحد منهم. وأما المشترك فلا يختص به واحد.

وأما كمال معرفته ومحبته للنبي ﷺ وتصديقه له فهو مبرز في ذلك علىٰ سائرهم تبريزًا باينهم فيه مباينة لا تخفىٰ علىٰ من كان له معرفة بأحوال القوم. وأما من لا معرفة له فلا تقبل شهادته. وأما نفعه للنبي ﷺ ومعاونته له علىٰ الدين فكذلك.

فهذه الأمور التي هي مقاصد الصحبة ومحامدها ويستحق الصحابة أن يفضلوا بها علىٰ غيرهم لأبي بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيها أحد، ويدل علىٰ ذلك حديث أبي الدرداء «وواساني بنفسه وماله»[(٢)].

(١) رواه البخاري (٨ / ٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وفي الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة والإسلام، ومسلم رقم (٢٥٣٢) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.
(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٤٣-٢٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوىٰ (جـ ٤/ ٤٦٤، ٤٦٥).

ولم يكن الصديق يقصد بعمله هذا محمدة ولا جاهًا، ولا دنيا، وإنما كان يريد وجه الله ذا الجلال والإكرام. لقد قال له أبوه ذات يوم: يا بني، إني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذا فعلت أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر ﵁: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله آ . فلا عجب إذا كان الله سبحانه أنزل في شأن الصديق قرآنا يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل:٥-٢١].

لقد كان الصديق من أعظم الناس إنفاقا لماله فيما يرضي الله ورسوله.

كان هذا التكافل بين أفراد الجماعة الإسلامية الأولىٰ قمة من قمم الخير والعطاء، وأصبح هؤلاء العبيد بالإسلام أصحاب عقيدة وفكرة يناقشون بها وينافحون عنها، ويجاهدون في سبيلها، وكان إقدام أبي بكر ﵁ علىٰ شرائهم ثم عتقهم دليلًا علىٰ عظمة هذا الدين ومدىٰ تغلغله في نفسية الصديق ﵁، وما أحوج المسلمين اليوم إلىٰ أن يحيوا هذا المثل الرفيع، والمشاعر السامية؛ ليتم التلاحم والتعايش والتعاضد بين أبناء الأمة التي يتعرض أبناؤها للإبادة الشاملة من قِبَل أعداء العقيدة والدين.

### صاحبه في سفر الهجرة:

أولًا: قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة:٤٠].

ففي هذه الآية الكريمة دلالة علىٰ أفضلية الصديق من سبعة أوجه، ففي الآية الكريمة من فضائل أبي بكر رضي الله عنه:

لا ريب أن الفضيلة التي حصلت لأبي بكر في الهجرة لم تحصل لغيره من الصحابة بالكتاب والسنة والإجماع فتكون هذه الأفضلية ثابتة له دون عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الآية [التوبة:٤٠](١).

**ففي الآية الكريمة من فضائل الصديق:**

**١- أن الكفار أخرجوه:**

الكفار أخرجوا الرسول ﷺ ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ فلزم أن يكونوا أخرجوهما، وهذا هو الواقع، فإن الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم كما قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠] وذلك أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان، وهم لا يمكنهم ترك الإيمان، فقد أخرجوهم إذ كانوا مؤمنين(٢).

**٢- أنه صاحبه الوحيد:**

الذي كان معه حين نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا هو أبو بكر، وكان ثاني

---

(١) قال ابن كثير ؟ : لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه خرج منهم هاربًا صحبه صديقه وصديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجآ إلىٰ غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم فيخلص إلىٰ الرسول منهم أذىٰ، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته. (تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٥٨).

(٢) منهاج السنة (جـ ٤/ ٣٣، ٢٦٦، ٢٦٧).

اثنين الله ثالثهما. قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ يدل علىٰ قلةالعدد، فإن الواحد أقل ما يوجد، فإذا لم يصحبه إلا واحد دل علىٰ أنه في غاية القلة.

وأيضًا ففي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من أكابر الصحابة إلا واحد يكون هو ذلك الواحد: مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلىٰ قبائل العرب يدعوهم إلىٰ الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر. وهذا اختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي ﷺ[(١)].

## ٣- صاحبه في الغار:

الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن، وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «نظرت إلىٰ أقدام المشركين علىٰ رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» . وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم علىٰ صحته وتلقيه بالقبول فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن علىٰ معناه[(٢)].

## ٤- أنه صاحبه المطلق:

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ لا يختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي كمل في الصحبة كمالًا لم يشركه فيه غيره -فصار مختصًا بالأكملية من الصحبة، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم بأحوال النبي ﷺ وأصحابه، كما في الحديث الذي رواه البخاري، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ وفيه: «**هل أنتم تاركو لي صاحبي؟**» فقد تبين أن النبي ﷺ خصه دون غيره مع أنه جعل غيره من أصحابه أيضًا؛ لكنه خصه بكمال الصحبة، ولهذا قال من قال

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٧، ٢٥٥، ٢٥٢).
(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٤٠- ٢٤١).

من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره[(١)].

### ٥- أنه المشفق عليه:

قوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾ يدل علىٰ أن صاحبه كان مشفقًا عليه محبًا له ناصرًا له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف علىٰ من يحبه. وكان حزنه علىٰ النبي لئلا يقتل ويذهب الإسلام، ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تارة، ووراءه تارة، فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون وراءك» رواه أحمد في كتاب مناقب الصحابة، فقال: حدثنا وكيع، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبي مليكة، قال: «لما هاجر النبي ﷺ خرج معه أبو بكر فأخذ طريق ثور، قال: فجعل أبو بكر يمشي خلفه ويمشي أمامه فقال له النبي ﷺ ما لك؟ قال: يا رسول الله أخاف أن تؤتىٰ من خلفك فأتأخر، وأخاف أن تؤتىٰ من أمامك فأتقدم، قال: فلما انتهينا إلىٰ الغار قال أبو بكر: يا رسول الله كما أنت حتىٰ أيمه» قال نافع حدثني رجل عن ابن أبي مليكة أن أبا بكر رأىٰ جحرًا في الغار فألقمها قدمه، وقال يا رسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي» فلم يكن يرضىٰ بمساواة النبي؛ بل كان لا يرضىٰ بأن يقتل رسول الله ﷺ وهو يعيش؛ بل كان يختار أن يفديه بنفسه وأهله وماله. وهذا واجب عليكل مؤمن، والصديق أقوم المؤمنين بذلك[(٢)].

### ٦- المشارك له في معية الاختصاص:

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق... وهي تدل علىٰ أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة علىٰ عدوهم فيكون النبي ﷺ قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر، ويعيننا عليهم، نصر إكرام ومحبة، كما قال تعالىٰ:

---

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٥٢، ٢٤٥).

(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٦٢، ٢٦٣).

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر:٥١]. وهذا غاية المدح لأبي بكر، إذ دل علىٰ أنه ممن شهد له الرسول بالإيمان المقتضىٰ نصر الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: إن الله عاتب الخلق جميعهم في نبيه إلا أبا بكر. وقال من أنكر صحبته فهو كافر؛ لأنه كذب القرآن. وقالت طائفة كأبي القاسم السهيلي وغيره: هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر، وكذلك قوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» بل ظهر اختصاصهما في اللفظ كما ظهر في المعنىٰ؛ فكان يقال للنبي: محمد رسول الله، فلما تولىٰ أبو بكر بعده صاروا يقولون: خليفة رسول الله. فيضيفون الخليفة إلىٰ رسول الله المضاف إلىٰ الله، والمضاف إلىٰ المضاف إلىٰ الله مضاف إلىٰ الله، وتحقيقًا لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» فلما تولىٰ عمر بعده صاروا يقولون: أمير المؤمنين، فانقطع الاختصاص الذي امتاز به أبو بكر علىٰ سائر الصحابة(١).

### ٧- أنه صاحبه في حال إنزال السكينة والنصر:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة:٤٠] فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه في حضور النصر والتأييد أولىٰ وأحرىٰ، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها، وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال علم إنما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بالجنود التي لم يرها الناس لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه(٢).

## ثانيًا: فقه النبي ﷺ والصديق في التخطيط والأخذ بالأسباب:

إن من تأمل حادثة الهجرة رأىٰ دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣).
(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٧٢).

ابتدائها ومن مقدماتها إلىٰ ما جرىٰ بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائمًا، وأن التخطيط جزء من السنة النبوية، وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم، وأن الذين يميلون إلىٰ العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنة، أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون علىٰ أنفسهم وعلىٰ المسلمين(١).

فعندما حان وقت الهجرة للنبي ﷺ في التنفيذ نلاحظ الآتي:

أ- وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتىٰ نجحت رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروسًا دراسة وافية، فمثلًا:

١- جاء ﷺ إلىٰ بيت أبي بكر في وقت شدة الحر؛ الوقت الذي لا يخرج فيه أحد؛ بل من عادته لم يكن يأتي له، لماذا؟ حتىٰ لا يراه أحد.

٢- إخفاء شخصيته ﷺ أثناء مجيئه للصديق وجاء إلىٰ بيت الصديق متلثمًا؛ لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف علىٰ معالم الوجه المتلثم(٢).

٣- أمر ﷺ أبا بكر أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يُبِن إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٤- وكان الخروج ليلا ومن باب خلفي في بيت أبي بكر.

٥- بلغ الاحتياط مداه باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية، ومسارب الصحراء، وكان ذلك الخبير مشركًا ما دام علىٰ خلق ورزانة، وفيه دليل علىٰ أن الرسول ﷺ كان لا يحجم علىٰ الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها.

وقد يبين الشيخ عبد الكريم زيدان أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير

(١) الأساس في السنة، سعيد حوىٰ (٣٥٧٨).
(٢) السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحيطة (ص ١٤١).

المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة، وهي: تحقيق المصلحة أو رجحانها بهذه الاستعانة، وأن لا يكون ذلك علىٰ حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن لا تكون هذه الاستعانة مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة علىٰ وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة(١).

وقد كان الصديق ﵁ قد دعا أولاده للإسلام ونجح بفضل الله في هذا الدور الكبير والخطير، وقام بتوظيف أسرته لخدمة الإسلام ونجاح هجرة رسول الله ﷺ، فوزع بين أولاده المهام الخطيرة في مجال التنفيذ العملي لخطة الهجرة المباركة:

### ١- دور عبد الله بن أبي بكر ﵄:

فقد قام بدور صاحب المخابرات الصادق وكشف تحركات العدو، لقد ربىٰ عبد الله علىٰ حب دينه، والعمل لنصرته ببصيرة نافذة وفطنة كاملة وذكاء متوقد، يدل علىٰ العناية الفائقة التي اتبعها سيدنا أبو بكر في تربيته. وقد رسم له أبوه دوره في الهجرة فقام به خير قيام، وكان يتمثل في التنقل بين مجالس أهل مكة يستمع أخبارهم وما يقولونه في نهارهم، ثم يأتي الغار إذا أمسىٰ، فيحكي للنبي ﷺ ولأبيه الصديق ﵁ ما يدور بعقول أهل مكة وما يدبرونه، وقد أتقن عبد الله هذا الواجب بطريقة رائعة، فلم تأخذ واحدًا من أهل مكة ريبة فيه، وكان يبيت عند الغار حارسًا، حتىٰ إذا اقترب النهار عاد إلىٰ مكة فما شعر به أحد(٢).

### ٢- دور عائشة وأسماء ﵄:

كان لأسماء وعائشة دور عظيم أظهر فوائد التربية الصحيحة، حيث قامتا

---

(١) المستفاد من قصص القرآن (٢/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢١٣)، البداية والنهاية (٣/ ١٨٢).

عند قدوم النبي ﷺ إلىٰ بيت أبي بكر ليلة الهجرة بتجهيز طعام النبي ﷺ ولأبيهما.. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما (تقصد رسول الله ﷺ وأباها) أحسن الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت به علىٰ فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين(١).

٣- دور أسماء في تحمل الأذى وإخفاء أسرار المسلمين:

أظهرت أسماء رضي الله عنها دور المسلمة الفاهمة لدينها، المحافظة علىٰ أسرار الدعوة، المتحملة لتوابع ذلك من الأذىٰ والتعنت. فهذه أسماء تحدثنا بنفسها حيث تقول: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا علىٰ باب أبي بكر فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا(٢).

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلًا بعد جيل، كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوىٰ البغي والظلم.

٤- دور أسماء رضي الله عنها في بث الأمان والطمأنينة في البيت:

خرج أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ومعه ماله كله، وهو ما تبقىٰ من رأسماله، وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، وجاء أبو قحافة ليتفقد بيت ابنه ويطمئن علىٰ أولاده، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبت، ضع يدك علىٰ هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن. وفي هذا بلاغ لكم. لا

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٨٤).
(٢) الهجرة النبوية المباركة (ص ١٢٦).

والله ما ترك لنا شيئًا، ولكني أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك[(١)].

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكن قلب جدها الضرير من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقا هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ، إلا أنه قد ترك لهم معها إيمانا بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، ورَّثهم يقينًا وثقة به لا حد لهما، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت إلىٰ سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالًا عزَّ أن يتكرر، وقلَّ أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلا هنَّ في أمسِّ الحاجة إلىٰ الاقتداء به، والنسج علىٰ منواله، وظلت أسماء مع أخواتها في مكة لا تشكو ضيقا، ولا تظهر حاجة، حتىٰ بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلىٰ مكة، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجه، وأسامة بن زيد، وأمه بركة المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، حتىٰ قدموا المدينة مصطحبين[(٢)].

### ٥- دور عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من العادة عند كثير من الناس إهمال الخادم وقلة الاكتراث بأمره، لكن الدعاة الربانيين لا يفعلون ذلك، إنهم يبذلون جهدهم لهداية من يلاقونه، لذا أدَّب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامر بن فهيرة مولاه وعلمه، فأضحىٰ عامر جاهزًا لفداء الإسلام وخدمة الدين.

وقد رسم له سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دورًا هامًا في الهجرة، فكان يرعىٰ الغنم مع رعيان مكة، لكن لا يلفت الأنظار لشيء، حتىٰ إذا أمسىٰ أراح بغنم سيدنا أبي

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٢).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ١٠)، الهجرة النبوية المباركة (ص ١٢٨).

بكر علىٰ النبي ﷺ فاحتلبا وذبحا، ثم يكمل عامر دور عبد الله بن أبي بكر حين يغدو من عنده رسول الله ﷺ وصاحبه عائدًا إلىٰ مكة، فيتتبع آثار عبد الله ليعفي عليها، مما يعد ذكاء وفطنة في الإعداد لنجاح الهجرة(١).

وإنه لدرس عظيم يستفاد من الصديق لكي يهتم المسلمون بالخدم الذين يأتونهم من مشارق الدنيا ومغاربها، ويعاملونهم علىٰ كونهم بَشَرًا أولًا، ثم يعلمونهم الإسلام، فلعل الله يجعل منهم من يحمل هذا الدين كما ينبغي.

إن ما قام به الصديق من تجنيد أسرته لخدمة صاحب الدعوة ﷺ في هجرته يدل علىٰ تدبير للأمور علىٰ نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسدٍّ لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار علىٰ العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف. لقد أخذ الرسول ﷺ بالأسباب المعقولة أخذًا قويًا حسب استطاعته وقدرته، ومن ثم باتت عناية الله متوقعة(٢).

إن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائما حصول النتيجة؛ ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله ومشيئته، ومن هنا كان التوكل أمرًا ضروريًا وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب.

إن رسول الله ﷺ أعد كل الأسباب واتخذ كل الوسائل، ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره أن يكلل سعيه بالنجاح، وهنا يستجاب الدعاء، ويكلل العمل النجاح(٣).

### ثالثًا: جندية الصديق الرفيعة وبكاؤه من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأبو بكر رضي الله عنه

(١) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين (ص ١١٥).
(٢) أضواء علىٰ الهجرة لتوفيق محمد (ص ٣٩٣ – ٣٩٧).
(٣) من معين السيرة (ص ١٤٨).

عندما أراد أن يهاجر إلىٰ المدينة وقال له رسول الله ﷺ : «**لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا**»، فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة «فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعدادًا لذلك». وفي رواية البخاري: وعلف راحلتين كانتا عنده، ورق السمر (وهو الخبط) أربعة أشهر، لقد كان يدرك بثاقب بصره رضي الله عنه (وهو الذي تربىٰ ليكون قائدًا) أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة ولذلك هيأ وسيلة الهجرة ورتب تموينها، وسخَّر أسرته لخدمة النبي ﷺ ، وعندما جاء رسول الله ﷺ وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة بكىٰ من شدة الفرح، وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتىٰ رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، إنها قمة الفرح البَشَري، أن يتحول الفرح إلىٰ بكاء، ومما قال الشاعر عن هذا:

وَرَدَ الكتاب من الحبيب بأنه ... سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور عليَّ حتى إنني ... من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين من فرح ومن أحزان

فالصديق رضي الله عنه يعلم أن معنىٰ هذه الصحبة أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشر يومًا علىٰ الأقل، وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وحبيبه المصطفىٰ ﷺ ، فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز، أن ينفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض ومن دون الصحب جميعًا برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة[1].

وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون ليكون الصديق مثلًا لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق مع قائده الأمين، حين يحدق به الخطر، من خوف وإشفاق علىٰ حياته، فما كان

(١) التربية القيادية (٢/ ١٩١، ١٩٢).

أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشىٰ علىٰ نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله ﷺ في هذه الهجرة الخطيرة وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله ﷺ ، ولكنه كان يخشىٰ علىٰ حياة الرسول الكريم ﷺ ، وعلىٰ مستقبل الإسلام إن وقع الرسول ﷺ في قبضة المشركين[١].

ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي ﷺ في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل علىٰ حسن استخدام أبي بكر للمعاريض فرارًا من الحرج أو الكذب[٢]. وفي إجابته للسائل تورية وتنفيذ للتربية الأمنية التي تلقاها من رسول الله ﷺ ؛ لأن الهجرة كانت سرًّا، وقد أقره الرسول ﷺ علىٰ ذلك[٣].

### رابعًا: فن قيادة الأرواح وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر علىٰ قلب أبي بكر لرسول الله ﷺ في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفىٰ ﷺ ، وهذا الحب الرباني كان نابعا من القلب وبإخلاص، ولم يكن حب نفاق أو نابعًا من مصلحة دنيوية، أو رغبة من منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع. ومن أسباب هذا الحب لرسول الله ﷺ صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهرليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول ﷺ مع صحابته، في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم، وكان عمله لوجه الله، أصابه هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسئولين في أمة الإسلام[٤].

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي (٧١).
(٢) الهجرة النبوية المباركة (ص ٢٠٤).
(٣) السيرة النبوية دروس وعبر، للسباعي (ص ٦٨).
(٤) الهجرة النبوية، لأبي فارس (ص ٥٤).

وصدق الشاعر الليبي أحمد رفيق المهداوي عندما قال:

فإذا أحب الله باطنَ عبده ... ظهرت عليه مواهب الفتاح
وإذا صفت لله نية مصلح ... مال العباد عليه بالأرواح(١)

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء، وتستطع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلىٰ قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلىٰ قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان ﷺ رحيمًا وشفوقًا بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبق إلا المستضعفون والمفتونون، ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة(٢).

والجدير بالذكر أن حب الصديق لرسول الله ﷺ كان لله، ومما يبين الحب لله والحب لغير الله أن أبا بكر كان يحب النبي ﷺ مخلصًا لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٧-٢١]، وأما أبو طالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار؛ لأنه كان مشركًا عاملًا لغير الله، وأبو بكر لم يطلب أجره من الخلق، لا من النبي ﷺ ولا من غيره، بل آمن به وأحبه وكلأه وأعانه في الله، متقربًا بذلك إلىٰ الله وطالبًا الأجر من الله، ويبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده ووعيده(٣).

## خامسًا: مرض أبي بكر الصديق بالمدينة في بداية الهجرة:

كانت هجرة النبي ﷺ وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلىٰ الله، ولولا أني**

---

(١) الحركة السنوسية، للصلابي (٢/ ٧).
(٢) السيرة النبوية المباركة (ص ٢٠٥).
(٣) الفتاوىٰ لابن تيمية (١١/ ٢٨٦).

أُخْرجت منك ما خرجت»[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمىٰ، وكان واديها يجري نجلا (يعني ماء آجنا) فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه، قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد، فأصابتهم الحمىٰ، فاستأذنت رسول الله ﷺ عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم -وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب- وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك[٢]، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه[٣] ... كالثور يحمي جلده بروقه[٤]

قالت: قلت: والله ما يدري عامر ما يقول. قالت: وكان بلال إذا أقلع عنه الحمىٰ اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته[٥]، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر[٦] وجليل

وهل أرِدَن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل[٧]

---

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل مكة (٥/ ٧٢٢)، رقم (٣٩٢٥).

(٢) الوعك: الحمىٰ.

(٣) بطوقه: بطاقته.

(٤) بروقه: بقرنه.

(٥) عقيرته: صوته.

(٦) إذخر: نبات طيب الرائحة.

(٧) شامة وطفيل: جبلان مشرفان علىٰ مجنة علىٰ بريد مكة.

قالت: فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حمَّاها واجعلها بالجحفة**»[(١)].

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ، وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطنًا ممتازًا لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم[(٢)].

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخىٰ بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزير صدق لرسول الله ﷺ ولازمه في كل أحواله، ولم يغب عن مشهد من المشاهد، ولم يبخل بمشورة أو مال أو رأي[(٣)].

## سادسًا: قصة سفره مع النبي ﷺ في الهجرة:

روىٰ البخاري في صحيحه عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «هاجر إلىٰ الحبشة رجال من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجرًا فقال له النبي ﷺ: علىٰ رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: أو ترجوه بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه علىٰ النبي ﷺ ولصحبته، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر، قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبلًا متقنعًا[(٤)] في ساعة لم يكن يأتينا فيها. قال أبو بكر: فدًا له أبي وأمي، والله إن جاء به في هذه الساعة إلا

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، رقم (٦٣٧٢).

(٢) التربية القيادية (٢/ ٣١٠).

(٣) تاريخ الدعوة إلىٰ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين (ص ١٢١).

(٤) متقنعًا: متغشيًا بثوب أو نحوه.

لأمر، فجاء النبي فاستأذن فأذن له فدخل، فقال حين دخل لأبي بكر: أخرج من عندك. قال: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: نعم. قال: فإني قد أذن لي في الخروج. قال: فالصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: نعم. قال فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدىٰ راحلتي هاتين.

قال النبي ﷺ بالثمن» الحديث[(١)].

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتىٰ أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته[(٢)].

وفي رواية للبخاري: «فركبا فانطلقا حتىٰ أتيا الغار وهو بثور فتواريا فيه» الحديث .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: اشترىٰ أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلًا[(٣)] بثلاثة عشر درهمًا. فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلي رحلي. فقال عازب: لا، حتىٰ تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم. قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا -أو سرينا- ليلتنا ويومنا حتىٰ أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، حتىٰ رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانًا ينام فيه النبي ﷺ في ظلها، ثم بسطت عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك[(٤)]، وخرجت أنفض ما حوله فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلىٰ الصخرة يريد منها الذي أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت له: أفي غنمك لبن؟

---

(١) رواه البخاري (٧ / ١٨٠- ١٩٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة.

(٢) البداية والنهاية (جـ٣/ ١٧٧).

(٣) الرحل: سرج البعير وهو الكور. وقدر يراد به القتب والحداجة.

(٤) أي أفتش لئلا يكون عدو.

قال: نعم. قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم فأخذ شاة، فقلت: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذىٰ، فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن. قال ومعي إداوة أرتوي فيها لرسول الله ه يشرب منها ويتوضأ[(١)]. قال: فأتيت النبي ه وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافيته قد استيقظ، فصببت علىٰ اللبن الماء حتىٰ برد أسفله، فقلت يا رسول الله: اشرب من هذا اللبن. قال: فشرب حتىٰ رضيت. ثم قال: ألم يأن الرحيل؟ قلت: بلىٰ. فارتحلنا بعد ما زالت الشمس، واتبعنا سراقة بن مالك، قال: ونحن في جلد من الأرض، فقلت يا رسول الله: أتينا. فقال: لا تحزن إن الله معنا، فدعا عليه رسول الله ه فارتطمت فرسه إلىٰ بطنها. فقال: إني قد علمت أنكما دعوتما علي، فادعوا الله لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقىٰ أحدًا إلا قال: قد كفيتم من هنا، فلا يلقىٰ أحدًا إلا رده. قال: ووفا لنا. إلىٰ أن قال: قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدجلي وهو ابن أخي سراقة قال: جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ه وأبي بكر دية كل منهما لمن قتله أول أسره[(٢)].

ففي الليلة التي خرج فيها عرفوا في صبيحتها أنه خرج وانتشر ذلك وأرسلوا إلىٰ أهل الطرق يبذلون الدية فيه وفي أبي بكر. وكون المشركين بذلوا الدية لمن يأتي بأبي بكر دليل علىٰ أنهم يعلمون موالاته لرسول الله ه وأنه كان عدوهم[(٣)].

### سابعًا: بين قبائل العرب في الأسواق:

قال السيوطي ؟ : رأيت بخط الحافظ الذهبي ؟ من كان فرد زمانه في فنه... أبو بكر في النسب[(٤)]. ولذلك استخدم الصديق هذا العلم الفياض وسيلة

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد.
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٨٠- ١٩٣) في فضائل أصحاب النبي ه ، باب هجرة النبي ه وأصحابه إلىٰ المدينة.
(٣) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٥٧- ٢٥٩).
(٤) تاريخ الخلفاء (ص ١٠٠).

من وسائل الدعوة؛ ليعلم كل ذي خبرة كيف يستطيع أن يسخِّرَ ذلك في سبيل الله علىٰ اختلاف التخصصات، وألوان المعرفة، سواء كان علمه نظريًا أو تجريبيًا، أو كان ذا مهنة مهمة في حياة الناس.

وسوف نرىٰ الصديق يصحبه رسول الله ﷺ عندما عرض نفسه علىٰ قبائل العرب ودعاهم إلىٰ الله، كيف وظف هذا العلم لدعوة الله؛ فقد كان الصديق خطيبًا مفوهًا له القدرة علىٰ توصيل المعاني بأحسن الألفاظ، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب عن النبي ﷺ في حضوره وغيبته، فكان النبي ﷺ إذا خرج في الموسم يدعو (أي: أبو بكر) الناس إلىٰ متابعة كلامه تمهيدًا وتوطئة لما يبلغ الرسول، معونة له، لا تقدمًا بين يدي الله ورسوله(١).

وكان علمه في النسب ومعرفة أصول القبائل مساعدًا له علىٰ التعامل معها، فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يعرض نفسه علىٰ قبائل العرب خرج وأنا معه... إلىٰ أن قال: ثم دفعنا إلىٰ مجلس آخر عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم، فقال: من القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلىٰ رسول الله ﷺ وقال: بأبي أنت وأمي، ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم وهؤلاء غرر الناس وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنىٰ بن حارثة والنعمان بن شريك، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم لسانًا وجمالًا، وكان له غديرتان تسقطان علىٰ تريبته، وكان أدنىٰ القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد علىٰ الألف ولن تغلب الألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم، فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقىٰ، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد علىٰ الأولاد والسلاح علىٰ اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرىٰ. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أن

(١) أبو بكر الصديق، لمحمد عبد الرحمن قاسم (ص ٩٢).

رسول الله ﷺ فها هو ذا، فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أدعوكم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني عبد الله ورسوله، وإلىٰ أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت علىٰ الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد**».

فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش، فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا؟ فتلا رسول الله ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]، فقال مفروق: دعوت والله إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلىٰ هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرىٰ أن تَرْكَنَا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لذل في الرأي وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة وإنا نكره أن نعقد علىٰ من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع وننظر..

ثم كأنه أحب أن يشركه المثنىٰ بن حارثة فقال: وهذا المثنىٰ شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنىٰ (وأسلم بعد ذلك): قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة والأخرىٰ السمامة، فقال رسول الله ﷺ: «**وما هذا الصيران؟**» فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرىٰ، وإنما نزلنا علىٰ عهد أخذه علينا كسرىٰ أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثا، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول،

وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم في الرد؛ إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله ﷻ لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه. أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتىٰ يورثكم الله تعالىٰ أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟**». فقال له النعمان بن شريك: اللهم فَلَكَ ذاك(١).

وفي هذا الخبر دروس وعبر وفوائد كثيرة، منها:

١- ملازمة الصديق لرسول الله ﷺ، وهذا جعله يفهم الإسلام بشموله، وهيأه الله تعالىٰ بأنه يصبح أعلم الصحابة بدين الله؛ فقد تعلم من رسول الله ﷺ حقيقة الإسلام، وتربىٰ علىٰ يديه في معرفة معانيه، فاستوعب طبيعة الدعوة ومر بمراحلها المتعددة، واستفاد من صحبته لرسول الله ﷺ، وتشرب المنهج الرباني، فعرف المولىٰ ﷻ من خلاله، وطبيعة الحياة، وحقيقة الكون، وسر الوجود، وماذا بعد الموت، ومفهوم القضاء والقدر، وقصة الشيطان مع آدم عليه السلام، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والإيمان الكفر. وحببت إليه العبادات؛ كقيام الليل، وذكر الله، وتلاوة القرآن، فسمت أخلاقه، وتطهرت نفسه، وزكت روحه.

٢- وفي رفقته لرسول الله ﷺ عندما كان ﷺ يدعو القبائل للإسلام استفاد الكثير؛ فقد عرف أن النصرة التي كان يطلبها رسول الله ﷺ لدعوته من زعماء القبائل أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع الدعوة ولا يستطيعون التحرر منها؛ وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضها لخطر القضاء عليها من قِبَل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢، ١٤٣- ١٤٥)، وفيها زيادات ليست عند الصالحي في سبيل الإرشاد (٢/ ٥٩٦، ٥٩٧).

تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدا لمصالحها[(١)].

إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرىٰ لو أراد القبض علىٰ رسول الله ﷺ وتسليمه، ولن يخوضوا حربا ضد كسرىٰ لو أراد مهاجمة رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[(٢)].

٢- «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»، كان هذا الرد من النبي ﷺ علىٰ المثنىٰ بن حارثة؛ حيث عرض علىٰ النبي حمايته علىٰ مياه العرب دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة يرىٰ بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامىٰ[(٣)].

٤- كان موقف بني شيبان يتسم بالأريحية والخلق والرجولة، وينم عن تعظيم هذا النبي ﷺ ، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدىٰ قدرة الحماية التي يملكونها، وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقدر الله لشيبان بعد عشر سنوات أو تزيد أن تحمل هي ابتداء عبء مواجهة الملوك بعد أن أشرق قلبها بنور الإسلام، وكان المثنىٰ بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار الذي كان من ضمن قادة الفتوح في خلافة الصديق، فكان وقومه من أجرأ المسلمين بعد إسلامهم علىٰ قتال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرهبون الفرس ولا يفكرون في قتالهم؛ بل إنهم ردوا دعوة النبي ﷺ بعد قناعتهم بها لاحتمال أن تلجئهم إلىٰ قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبدا، وبهذا تعلم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا؛ حيث جعلهم سادة الأرض مع ما ينتظرون في أخراهم من النعيم الدائم في جنات النعيم[(٤)].

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد هيكل (١/ ٤١٢).
(٢) التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان (ص ٥٣).
(٣) نفس المصدر السابق (ص ٦٤).
(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (٣/ ٦٩).

## ثامنًا: الصديق في ميادين الجهاد:

### أولاً: أبو بكر رضي الله عنه في بدر الكبرى:

شارك الصديق في غزوة بدر، وكانت في العام الثاني من الهجرة وكانت له فيها مواقف مشهورة، من أهمها:

### ١- مشورة الحرب:

لما بلغ النبي من نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة علىٰ قتال النبي ﷺ استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن[(١)].

### ٢- دوره في الاستطلاع مع النبي ﷺ:

قام النبي ﷺ ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخًا من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن جيش قريش وعن محمد ﷺ وأصحابه وما بلغه من أخبارهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتىٰ تخبراني ممن أنتما، فقال له رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «**نعم**»، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي به جيش المسلمين- وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلًا- ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نحن من ماء**»، ثم انصرف النبي ﷺ وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟[(٢)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٤٤٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨).

## ٣- في حراسة النبي ﷺ في عريشه:

عندما رتب ﷺ الصفوف للقتال، رجع إلىٰ مقر القيادة وكان عبارة عن عريش علىٰ تل مشرف علىٰ ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر رضي الله عنه، وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله ﷺ [(١)]، وقد تحدث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذا الموقف فقال: يا أيها الناس، من أشجع الناس؟

فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر؛ إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف علىٰ رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد من المشركين إلا أهوىٰ إليه، فهذا أشجع الناس[(٢)].

## ٤- الصديق يتلقى البشارة بالنصر، ويقاتل بجانب رسول الله ﷺ:

بعد الشروع في الأخذ بالأسباب اتجه رسول الله ﷺ إلىٰ ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا**». وما زال ﷺ يدعو ويستغيث حتىٰ سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورَدَّه علىٰ منكبيه وهو يقول: يا رسول الله، كفاك مناشدتكم ربك فإنه منجز لك ما وعدك[(٣)] وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩] وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد**» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك الله، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ

(١) نفس المصدر السابق (٢/ ٢٣٣).
(٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٣) مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ببدر، رقم (١٧٦٣).

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر:٤٥][1]. وقد خفق النبي ﷺ خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، علىٰ ثناياه النقع (يعني: الغبار)، قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الناس فحرَّضهم[2].

وقد تعلم الصديق من هذا الموقف درسًا ربانيًا مهمًا في التجرد النفسي وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه لكي ينزل نصره، وبقي هذا المشهد راسخًا في ذاكرة الصديق وقلبه ووجدانه يقتدي برسول الله ﷺ في تنفيذه في مثل هذه الساعات وفي مثل هذه المواطن، ويبقىٰ هذا المشهد درسًا لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد يريد أن يقتدي بالنبي ﷺ وصحابته الكرام.

ولما اشتد أوار المعركة وحمي وطيسها نزل رسول الله ﷺ وحرض علىٰ القتال والناس علىٰ مصافهم يذكرون الله تعالىٰ، وقد قاتل ﷺ بنفسه قتالًا شديدًا وكان بجانبه الصديق[3]، وقد ظهرت منه شجاعة وبسالة منقطعة النظير، وكان علىٰ استعداد لمقاتلة كل كافر عنيد ولو كان ابنه، وقد شارك ابنه عبد الرحمن في هذه المعركة مع المشركين، وكان من أشجع الشجعان بين العرب، ومن أنفذ الرماة سهمًا في قريش، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي «أي: ظهرت أمامي كهدف واضح» يوم بدر، فملت عنك ولم أقتلك، فقال له أبو بكر: لو أهدفت لي لم أَمِلْ عنك[4].

### ٥- الصديق والأسرى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما أسروا الأسارىٰ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب قصة بدر، رقم (٣٩٥٣).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٥٧، نقلا عن تاريخ الدعوة (ص ١٢٥).
(٣) البداية والنهاية (٣/ ٢٧٨).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٩٤).

وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارىٰ؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرىٰ أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة علىٰ الكفار، فعسىٰ الله أن يهديهم إلىٰ الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترىٰ يا ابن الخطاب؟**» قال: لا والله، يا رسول الله، ما أرىٰ الذي يراه أبو بكر، ولكني أرىٰ أن تمكننا منهم فنضرب أعناقهم، فتمكِّنَ عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان «نسيبًا لعمر» فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت، فلما كان الغد جئت فإذا برسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، ولقد عرض عليَّ عذابهم أدنىٰ من هذه الشجرة**» (شجرة قريبة من النبي ﷺ)، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال:٦٧]، إلىٰ قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٩]، فأحل الله لهم الغنيمة(١).

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في هؤلاء الأسرىٰ؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك استَبْقِهم واستأن بهم؛ لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك وكذبوك، قربهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديًا كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم اضرب عليهم نارًا، فقال العباس: قطعت رحمك. فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئا، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله ليليِّن قلوب رجال فيه حتىٰ تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتىٰ تكون أشد من**

(١) مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٦٣).

الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسىٰ عليه السلام إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح؛ إذ قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح:٢٦]، وإن مثلك كمثل موسىٰ إذ قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس:٨٨]»[(١)]. كان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورىٰ، وربما تكلم غيره، وربما لم يتكلم غيره فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[(٢)].

### ثانيًا: في أحد وحمراء الأسد:

في يوم أحد تلقىٰ المسلمون درسًا صعبًا؛ فقد تفرقوا من حول النبي ﷺ، وتبعثر الصحابة في أرجاء الميدان، وشاع أن الرسول ﷺ قتل، وكان رد الفعل علىٰ الصحابة متباينًا، وكان الميدان فسيحًا، وكل مشغول بنفسه، شق الصديق الصفوف، وكان أول من وصل إلىٰ رسول الله ﷺ، واجتمع إلىٰ رسول الله أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح، وعلي، وطلحة، والزبير، وعمر بن الخطاب، والحارث بن الصمة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم... رضي الله عنهم، وقصدوا مع رسول الله ﷺ الشعب من جبل أحد في محاولة لاسترداد قوتهم المادية والمعنوية[(٣)].

وكان الصديق إذا ذكر أحدًا قال: ذلك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه، قلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا

(١) مسند أحمد (١/ ٣٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥).
(٢) أبو بكر الصديق، محمد مال الله (ص ٣٢٥).
(٣) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، د/ عاطف لماضة (ص ٢٧).

أقرب إلىٰ رسول الله ﷺ منه، وهو يختطف المشي خطفًا لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة، فانتهينا إلىٰ رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: «**عليكما صاحبكما** – يريد طلحة– **فقد نزف**»، فلم نلتفت إلىٰ قوله، قال: ذهبت لأنزع من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسم عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره تناولها فيؤذي رسول الله ﷺ، فأرزم عليه بفيه فاستخرج إحدىٰ الحلقتين ووقعت ثنيته الأخرىٰ مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتمًا. فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[(١)].

وتتضح منزلة الصديق في هذه الغزوة من موقف أبي سفيان عندما سأل وقال: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلىٰ أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا[(٢)]. فهذا يدل علىٰ ظن أبي سفيان زعيم المشركين حينئذ بأن أعمدة الإسلام وأساسه؛ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر[(٣)].

وعندما حاول المشركون أن يقبضوا علىٰ المسلمين ويستأصلوا شأفتهم، كان التخطيط النبوي الكريم قد سبقهم وأبطل كيدهم، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين مع ما بهم من جراحات وقرح شديد للخروج من إثر المشركين، فاستجابوا لله ولرسوله مع ما بهم من البلاء وانطلقوا، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت لعروة بن الزبير في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ

(١) منحة المعبود (٢/ ١٩)، نقلا عن تاريخ الدعوة الإسلامية (ص ١٣٠).
(٢) الفتح (٢/ ١٨٨)، (٧/ ٤٠٥).
(٣) مواقف الصديق مع النبي في المدينة، د. عاطف لماضة (ص ٢٨).

ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران:١٧٢]، يا ابن أختي كان أبوك منهم: الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «**من يذهب في إثرهم؟**» فانتدب منهم سبعين رجلًا: كان فيهم أبو بكر والزبير[(١)].

## ثالثًا: في الحديبية:

خرج رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد زيارة البيت الحرام في كوكبة من الصحابة عددها أربع عشرة مائة، وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لتعظيم بيت الله الحرام، فبعث النبي ﷺ عينًا له من خزاعة، فعاد بالخبر أن أهل مكة جمعوا جموعهم لصده عن الكعبة، فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد حربه أو قتل أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: «**امضوا علىٰ اسم الله**»، وقد ثارت قريش وحلفوا أن لا يدخل الرسول ﷺ مكة عنوة، ثم قامت المفاوضات بين أهل مكة ورسول الله ﷺ ، وقد عزم النبي ﷺ علىٰ إجابة أهل مكة علىٰ طلبهم إن أرادوا شيئًا فيه صلة رحم[(٢)].

### أ- في المفاوضات:

جاءت وفود قريش لمفاوضة النبي ﷺ ، وكان أول من أتىٰ بديل بن ورقاء من خزاعة، فلما علم بمقصد النبي ﷺ والمسلمين رجع إلىٰ أهل مكة، ثم جاء مكرز بن حفص ثم الحليس ابن علقمة ثم عروة بن مسعود الثقفي، فدار هذا الحوار بين النبي ﷺ وعروة بن مسعود الثقفي، واشترك في هذا الحوار أبو بكر

---

(١) مسلم، رقم (٢٤١٨).

(٢) تاريخ الدعوة إلىٰ الإسلام (ص ١٣٦).

ﷺ وبعض أصحابه[(١)].

قال عروة: يا محمد، أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلىٰ بيضتك لتفضها بهم؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل (أي: خرجت رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا).

قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة، وايم الله لكأني بهؤلاء (يقصد أصحاب النبي ﷺ) قد انكشفوا عنك!!.

فقال أبو بكر: امصص بظر[(٢)] اللات -وهي صنم ثقيف- أنحن نَفِرُّ عنه وندعه؟[(٣)] فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أحسن إليه قبل ذلك، فرعىٰ حرمته ولم يجاوبه عن هذه الكلمة، ولهذا قال من قال من العلماء: إن هذا يدل علىٰ جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة، وليس من الفحش المنهي عنه[(٤)].

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشن حربًا نفسية علىٰ المسلمين حتىٰ يهزمهم معنويًا، ولذلك لوح بقوة المشركين العسكرية، معتمدا علىٰ المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة، وحاول أن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين؛ وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده، عندما قال للنبي ﷺ: أجمعت أوباشًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، وكان رد الصديق صارمًا ومؤثرا في معنويات عروة ونفسيته، فقد كان موقف الصديق في غاية العزة الإيمانية التي قال الله فيها: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟

---

(١) نفس المصدر السابق (ص ١٣٧).

(٢) البظر: ما تقطعه الخاتنة من بُضْع المرأة عند ختانها.

(٣) البخاري، كتاب الشروط في الجهاد، رقم (٢٧٣٢).

(٤) أبو بكر الصديق، محمد مال الله (ص ٣٥٠).

﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران:١٣٩].

ب- موقفه من الصلح:

ولما توصل المشركون مع رسول الله ﷺ إلىٰ الصلح بقيادة سهل بن عمرو، أصغىٰ الصديق إلىٰ ما وافق عليه رسول الله ﷺ من طلب المشركين، رغم ما قد يظهر للمرء أن في هذا الصلح بعض التجاوز أو الإجحاف بالمسلمين، وسار علىٰ هدي النبي ﷺ ليقينه أن النبي لا ينطق عن الهوىٰ، وأنه فعل لشيء أطلعه الله عليه[(١)].

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتىٰ رسول الله معلنًا معارضته لهذه الاتفاقية، وقال لرسول الله ﷺ: ألست برسول الله؟ قال: «**بلىٰ**» قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: «**بلىٰ**» قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: «**بلىٰ**» قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه**»[(٢)]، وفي رواية: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني**»[(٣)]، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه هذا العام؟**». قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**» قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ قال: بلىٰ، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلىٰ، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلىٰ، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر -ناصحًا الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة-: الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله[(٤)].

وكان جواب الصديق مثل جواب رسول الله ﷺ، ولم يكن أبو بكر يسمع

(١) تاريخ الدعوة إلىٰ الإسلام (١٣٨).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٣٦).
(٣) السابق؛ تاريخ الطبري (٢/ ٣٦٤).
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦).

جواب النبي ﷺ، فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر، مع أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محدث، ولكن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث؛ لأن الصديق يتلقىٰ عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله.

## رابعًا: في غزوة خيبر، وسرية نجد وبني فزارة:

### أ- في خيبر:

ضرب رسول الله ﷺ حصارًا علىٰ خيبر واستعد لقتالهم، فكان أول قائد يرسله ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع، ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، ثم قال: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله**»، فكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]، وأشار بعض أصحاب النبي ﷺ بقطع النخيل حتىٰ يثخن في اليهود ورضي النبي ﷺ بذلك، فأسرع المسلمون في قطعه، فذهب الصديق إلىٰ النبي ﷺ وأشار عليه بعدم قطع النخيل لما في ذلك من الخسارة للمسلمين سواء فتحت خيبر عنوة أو صلحًا، فقبل النبي ﷺ مشورة الصديق، ونادىٰ بالمسلمين بالكف عن قطع النخيل فرفعوا أيديهم[(٢)].

### ب- في نجد:

أخرج ابن سعد عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلىٰ نجد وأمَّره علينا، فبيتنا ناسًا من هوازن فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا: أمت.. أمت[(٣)].

### ج- في بني فزارة:

روىٰ الإمام أحمد من طريق إياس بن سلمة عن أبيه، حدثني أبي، قال:

---

(١) فتوح البلدان (١/ ٢٦).
(٢) المغازي للواقدي (٢/ ٦٤٤).
(٣) الطبقات الكبرىٰ (١/ ١٢٤)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في البيات (٣/ ٤٣).

خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره النبي ﷺ علينا، فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا علىٰ الماء مَنْ مر قبلنا، قال سلمة: ثم نظرت إلىٰ عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال: فجئت بهم أسوقهم إلىٰ أبي بكر حتىٰ أتيته علىٰ الماء، وفيهم امرأة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال: فنفلني أبو بكر، فما كشفت لها ثوبا حتىٰ قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوبا، قال: فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي: «يا سلمة هب لي المرأة» قال: فقلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا، قال: فسكت رسول الله، وتركني حتىٰ إذا كان من الغد لقيني رسول الله في السوق فقال لي: «**يا سلمة هب لي المرأة**» قال: فقلت: والله يا رسول الله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله إلىٰ أهل مكة وفي أيديهم أسارىٰ من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المرأة[١].

## خامسًا: في غزوة ذات السلاسل:

قال رافع بن عمرو الطائي رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص علىٰ جيش ذات السلاسل[٢]، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وسَرَاة[٣] أصحابه، فانطلقوا حتىٰ نزلوا جبل طَيّ، فقال عمرو: انظروا إلىٰ رجل دليل بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، فإنه كان ربيلا[٤] في الجاهلية، قال رافع: فلما قضينا غزاتنا وانتهيت إلىٰ المكان الذي كنا خرجنا منه، توسمت

---

(١) أحمد (٤/ ٤٣٠)؛ الطبقات (٤/ ١٦٤).

(٢) ذات السلاسل: مكان وراء وادي القرىٰ وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

(٣) سراة: شرفاء أصحابه.

(٤) الربيل: اللص يغزو وحده ويُغِير علىٰ غيره.

أبا بكر رضي الله عنه، وكانت له عباءة فدكية[١]، فإذا ركب خَلَّها عليه بخلال[٢]، وإذا نزل بسطها، فأتيته فقلت: يا صاحب الخلال، إني توسمتك من بين أصحابك، فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطول عليَّ فأنسىٰ، فقال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس، وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتحج البيت، وتصوم رمضان: هل حفظت؟ قلت: نعم، قال: وأخرىٰ، لا يؤمَّرنَّ علىٰ اثنين، قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المدر؟[٣] فقال: يوشك أن تفشو حتىٰ تبلغك ومن هو دونك، إن الله ﷻ لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل لله فهداه الله، ومنهم من أكرهه السيف، فكلهم عُوَّاذ الله وجيران الله وخَفَارةُ[٤] الله، إن الرجل إذا كان أميرًا فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ[٥] عضلته غضبًا لجاره، والله من وراء جاره[٦].

## سادسًا: في فتح مكة وحنين والطائف:

### أ- في فتح مكة ٨ هـ:

وسبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكر ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعًا قالا: في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل

---

(١) منسوبة إلىٰ فدك، وهي قرية من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال.

(٢) خلها عليه بخلال: أي جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد.

(٣) المدر: الطين اللزج المتماسك، والمقصود سكان البيوت المبنية.

(٤) الخفارة: الذمة والعهد والأمان.

(٥) الناتئ: المرتفع والمنتفخ.

(٦) العضلة: هي القطعة من اللحم الشديد، انظر: مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٢).

في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في ذلك نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر وثبوا علىٰ خزاعة ليلًا بماء يقال له الوتير –وهو قريب من مكة– وقالت قريش ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا من أحد فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن علىٰ رسول الله ﷺ، فقدم عمرو بن سالم إلىٰ المدينة فأنشد رسول الله ﷺ قائلًا:

**اللهـــم إنـــي ناشـــد محمـــدًا     حلـــف أبينـــا وأبيـــك الأتلـــدا**

**فانـــصر هـــداك الله نـــصرًا أعتـــدا     وادع عبـــاد الله يـــأتوا مـــددا**

فقال النبي ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»(١).

وتجهز النبي ﷺ مع صحابته للخروج إلىٰ مكة، وكتم الخبر، ودعا الله أن يعمي علىٰ قريش حتىٰ تفاجأ بالجيش المسلم يفتح مكة، وخافت قريش أن يعلم النبي ﷺ بما حدث، فخرج أبو سفيان من مكة إلىٰ رسول الله فقال: يا محمد، أشدد العقد، وزدنا في المدة، فقال النبي ﷺ: «**ولذلك قدمت؟ هل كان من حدث قبلكم؟**» فقال: معاذ الله، نحن علىٰ عهدنا وصلحنا يوم الدية لا نغير ولا نبدل، فخرج من عند النبي ﷺ يقصد مقابلة الصحابة عليهم الرضوان(٢).

### ١- أبو بكر وأبو سفيان:

طلب أبو سفيان من أبي بكر رضي الله عنه أن يجدد العقد ويزيدهم في المدة، فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم. وهنا تظهر فطنة الصديق وحنكته السياسية ثم يظهر الإيمان القوي بالحق الذي هو عليه، ويعلن أمام أبي سفيان دون خوف أنه مستعد لحرب

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٤٤).

(٢) الطبري (٣/ ٤٣).

قريش بكل ما يمكن، ولو وجد الذر تقاتل قريشًا لأعانها عليها[(١)].

## ٢- بين عائشة وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

دخل الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ عائشة وهي تغربل حنطة، وقد أمرها النبي ﷺ بأن تخفي ذلك.. فقال لها أبو بكر: يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أيريد رسول الله أن يغزو؟ فصمتت، فقال: لعله يريد بني الأصفر (أي: الروم) فصمتت، فقال: لعله يريد قريشا، فصمتت، فدخل رسول الله ﷺ فقال الصديق له: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجًا؟ قال: «**نعم**» قال: لعلك تريد بني الأصفر؟ قال: «**لا**» قال: أتريد أهل نجد؟ قال: «**لا**»، قال: فلعلك تريد قريشًا؟ قال: «**نعم**»، قال أبو بكر: يا رسول الله، أليس بينك وبينهم مدة؟ قال: «**ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب؟**».

وهنا سلم أبو بكر للنبي ﷺ وجهز نفسه ليكون مع القائد ﷺ في هذه المهمة الكبرىٰ، وذهب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد[(٢)].

## ٣- الصديق في دخول مكة:

لما دخل النبي ﷺ مكة في عام الفتح وكان بجانبه أبو بكر رأىٰ النساء يلطمن وجوه الخيل، فابتسم إلىٰ أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: «**يا أبا بكر كيف قال حسان؟**» فأنشد أبو بكر:

عَدِمْنَا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كَدَاءُ
يبارينَ الأسنة مصغيات ... عن أكتافها الأسلُ الظماء
تظلُّ جيادنا متمطِّراتٍ ... تلطمهُنَّ بالْخُمرِ النساءُ[(٣)]

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية (١٤٥).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٦).
(٣) الحاكم في المستدرك: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (٣/ ٧٢).

فقال النبي ﷺ: «**ادخلوها من حيث قال حسان**»[(١)]، وقد تمت النعمة علىٰ الصديق في هذا الجو العظيم بإسلام أبيه أبي قحافة[(٢)].

ب- في حنين:

أخذ المسلمون يوم حنين درسًا قاسيًا؛ إذ لحقتهم هزيمة في أول المعركة جعلتهم يفرون من هول المفاجأة، وكانوا كما قال الإمام الطبري: فانشمروا لا يلوي أحد علىٰ أحد[(٣)]. وجعل رسول الله ﷺ يقول: «**أين أيها الناس؟ هلموا إليَّ، أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله**» ثم نادىٰ عمه العباس وكان جهوري الصوت، فقال له: «**يا عباس ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة**»[(٤)]. كان هذا هو حال المسلمين في أول المعركة، النبي وحده لم يثبت معه أحد إلا قلة، ولم تكن الفئة التي صبرت مع النبي إلا فئة من الصحابة يتقدمهم الصديق رضي الله عنه، ثم نصرهم الله بعد ذلك نصرًا عزيزًا مؤزرًا[(٥)].

## فتوى الصديق بين رسول الله ﷺ:

قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلىٰ رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلىٰ الذي يختله، فرفع يده ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمًّا شديدًا حتىٰ تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلىٰ رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بيِّنة علىٰ قتيل قتله فله

---

(١) نفس المصدر السابق (٣/ ٧٢)، الطبري (٣/ ٤٢).
(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية (ص ١٤٧).
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٧٤).
(٤) مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٥).
(٥) مواقف الصديق مع النبي في المدينة (٤٣).

سلبه» فقمت لألتمس بينة علىٰ قتيلي فلم أرَ أحدًا يشهد لي، فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا، لا يعطه[١] أصيبغ من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ، قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إليَّ، فاشتريت منه خَرَفًا[٢]، فكان أول مال تأثَّلته في الإسلام[٣].

إن مبادرة الصديق في الزجر والردع والفتوىٰ واليمين علىٰ ذلك في حضور رسول الله ﷺ، ثم يصدقه الرسول فيما قال، ويحكم بقوله خصوصية شرف، لم تكن لأحد غيره[٤]. ونلحظ في الخبر السابق أن أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه حرص علىٰ سلامة أخيه المسلم وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق رضي الله عنه فيه دلالة علىٰ حرصه علىٰ إحقاق الحق والدفاع عنه، ودليل علىٰ رسوخ إيمانه وعمق يقينه، وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية، وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له[٥].

### ج- في الطائف:

في حصار الطائف وقعت جراحات في أصحاب النبي ﷺ وشهادة، ورفع رسول الله ﷺ عن أهل الطائف الحصار ورجع إلىٰ المدينة، وممن استشهد من المسلمين في هذه الغزوة عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، رمي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة النبي ﷺ[٦].

---

(١) لا يعطيه: أي لا يعطيه رسولُ الله، قوله: أصيبغ، نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.
(٢) خرفًا: أي: بستانًا، أقام الثمر مقام الأصل.
(٣) البخاري، كتاب المغازي، رقم (٤٣٢٢).
(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر محب الدين (١٨٥).
(٥) التاريخ الإسلامي للحميدي (٨/ ٢٦).
(٦) تاريخ الدعوة الإسلامية (١٥٢).

وعندما قدم وفد ثقيف للمدينة ليعلنوا إسلامهم، فما إن ظهر الوفد قرب المدينة حتىٰ تنافس كل من أبي بكر والمغيرة علىٰ أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول ﷺ، وفاز الصديق بتلك البشارة[١]، وبعد أن أعلنوا إسلامهم وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم وأراد أن يؤمر عليهم أشار أبو بكر بعثمان بن أبي العاص وكان أحدثهم سنًا، فقال الصديق: يا رسول الله، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم علىٰ التفقه في الإسلام وتعلم القرآن[٢]. فقد كان عثمان بن أبي العاص كلما نام قومه بالهاجرة، عمد إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله في الدين واستقرأه القرآن حتىٰ فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا عمد إلىٰ أبي بكر، وكان يكتم ذلك عن أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وعجب منه وأحبه[٣].

وعندما علم الصديق بصاحب السهم الذي أصاب ابنه كانت له مقولة تدل علىٰ عظمة إيمانه، فعن القاسم بن محمد قال: رمي عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بسهم يوم الطائف، فانتفضت به بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، فمات، فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده، فأخرجه إليهم فقال: هل يعرف هذا السهم منكم أحد؟ فقال سعيد ابن عبيد، أخو بني عجلان: هذا سهم أنا بَرَيتُه ورشته[٤] وعقبته[٥]، وأنا رميت به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فإن هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر، فالحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يهنك بيده فإنه أوسع لكما[٦].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٩٣).
(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية (١٢٥).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي (٦٧٠).
(٤) رشته: صنعت فيه الريش.
(٥) عقبته: جذبته من عقبه.
(٦) خطب أبي بكر الصديق، محمد أحمد عاشور (١١٨)، والرواية فيها انقطاع.

## سابعًا: في غزوة تبوك، وإمارة الحج، وفي حجة الوداع:

أ- في تبوك: خرج رسول الله ﷺ بجيش عظيم في غزوة تبوك بلغ عدده ثلاثين ألفًا، وكان يريد قتال الروم بالشام، وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله ﷺ، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطىٰ لواءه الأعظم إلىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

ب- الصديق أمير الحج ٩ هـ: كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي ﷺ مستمرة علىٰ جميع الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، وحجة عام ٨ هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين[2]، فلما حل موسم الحج أراد الحجَ ﷺ ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتىٰ لا يكون ذلك»، فأرسل النبي ﷺ الصديق أميرًا علىٰ الحج سنة تسع من الهجرة، فخرج أبو بكر الصديق بركب الحجيج، ونزلت سورة براءة فدعا النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه، وأمره أن يلحق بأبي بكر ﷺ، فخرج علىٰ ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتىٰ أدرك الصديق أبا بكر بذي حليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سار، فأقام أبو بكر للناس الحج علىٰ منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت علىٰ ذلك الروايات الصحيحة، لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول فكان يعرف الناس مناسكهم في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات... إلخ. وعلي بن أبي طالب يخلفه في كل موقف من هذه المواقف

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٤٣).

(٢) دراسات في عهد النبوة، عماد الدين خليل (٢٢٢).

فيقرأ علىٰ الناس صدر سورة براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: «لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلىٰ مدته، ولا يحج بعد العام مشرك»[١]. وقد أمر الصديق أبا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته[٢].

وقد كلف النبي ﷺ عليًا بإعلان نقض العهود علىٰ مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها أن لا يتولىٰ ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر وأرسل عليًّا بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتبليغ صدر سورة براءة، لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلىٰ أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق علىٰ ذلك الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأمور؟[٣] وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير[٤].

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرىٰ وهي حجة الوداع[٥]. لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضىٰ، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما علىٰ الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالىٰ، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضىٰ فعلًا، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخلوها في التوحيد[٦].

---

(١) صحيح السيرة النبوية (٦٢٥).
(٢) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٣٧).
(٣) صحيح السيرة النبوية (٥٢٤).
(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠).
(٥) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠).
(٦) قراءة سياسية للسيرة النبوية، قلعجي (٢٨٣).

ج- في حجة الوداع: روىٰ الإمام أحمد ﵁ بسنده إلىٰ عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجًا، حتىٰ إذا أدركنا (العرج)[1] نزل رسول الله ﷺ، فجلست عائشة جنب النبي ﷺ، وزمالة أبي بكر مع غلام لأبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه، فطلع وليس معه بعيره!! فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللته البارحة! فقال أبو بكر: بعير واحد تضله! فطفق يضربه ورسول الله يبتسم ويقول: «**انظروا إلىٰ هذا المحرم وما يصنع**»[2].



(١) العرج: واد فحل من أودية الحجاز التهامية، معجم المعالم الجغرافية (٢٠٢).
(٢) مسند أحمد (٦/ ٣٤٤).

# + #

## الصـــديق والخــــلافة

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة (٩ حزيران يونيه سنة ٦٣٢م) فهب الأنصار يطالبون بالخلافة قبل أن يدفن رسول الله مع أم المهاجرين لم يكونوا قد فكروا في الخلافة، بل كان كبار الصحابة مشغولين بتجهيز رسول الله ودفنه، وطمع سعد بن أبي عبادة في أن يكون خليفة ويكنىٰ أبا ثابت وكان نقيب بني ساعدة والسيد المطاع في الخزرج.

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وجاؤوا بسعد بن عبادة وهو مريض بالحمىٰ ليبايعوه وطلبوا إليه أن يخطب، فقال لابنه أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه[١].

### خطبة سعد بن عبادة[٢]:

قال سعد بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلىٰ عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل، ما كانوا يقدرون علىٰ أن يمنعوا رسول الله، ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم

(١) البداية والنهاية (٤/ ٦٩٢)، والرياض النضره (٢/ ١٩٩).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤١).

ضيما عموا به، حتىٰ إذا أراد [الله] بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة، فرزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس علىٰ عدوه حتىٰ استقامة العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا، وأعطىٰ البعيد المقادة صاغرًا داخرًا حتىٰ أثخن الله ﷺ لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بالأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس.

هذه خطبة سعد بن عبادة، فقد كان يرىٰ أن المهاجرين استبدوا بالأمر، وأن الأنصار أحق بالولاية للأسباب التي ذكرها، مع أن المهاجرين لم يكونوا قد اجتمعوا، ولم يتشاوروا في أمر الخلافة، ولم يقرروا شيئا، ولا شك أن هذه الخطبة حازت استحسان الأنصار، ولا سيما الخزرج، فأجابوا بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا.

وطبيعي أن يحتج المهاجرون علىٰ هذا الكلام فقالوا: نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله الأولون وعشيرته وأولياؤه، فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير ولن نرضىٰ بدون هذا أبدًا، فقال سعد: «هذا أول الوهن».

بلغ عمر بن الخطاب ما كان من خطبة سعد وما وقع من خلاف بين الأنصار الذين أثاروا هذا الموضوع وبين المهاجرين، فجاء إلىٰ منزل رسول الله، وأرسل إلىٰ أبي بكر أن أخرج إلي فأرسل إليه أني مشتغل فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره، فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين إلىٰ السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح، وأراد عمر رضي الله عنه أن يبدأ بالكلام فأسكته أبو بكر قائلًا: رويدًا حتىٰ أتكلم، ثم تكلم بكل ما أراد أن يقول عمر.

## خطبة أبي بكر الصديق[(١)]:

بدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله بعث محمدا رسولا إلىٰ خلقه، وشهيدا، علىٰ أمته ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتىٰ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت، وخشب منجور، ثم قرأ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، فعظم علىٰ العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه علىٰ شدة أذىٰ قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف، زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله والرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من عبده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ولرسوله، وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة[(٢)] أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتانون بمشورة، ولا تقضىٰ دونكم الأمور.

## خطبة الحباب بن المنذر[(٣)]:

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي، ويكنى أبا عمر وكان يقال له ذو الرأي، فقال:

يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٢)، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٥).

(٢) العظماء والسادة.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٣).

يجتري مجترئ علىٰ خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدة والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلىٰ ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد رأيكم، وينتقض عليكم أمركم أبىٰ هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير.

ورد عمر بن الخطاب على الحباب فقال:

هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضىٰ العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمرهم فيهم، ولنا بذلك علىٰ من أبىٰ من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل[١] بباطل أو متجانف[٢] لإثم أو متورط في هلكة، فقام الحباب بن المنذر فقال:

يا معشر الأنصار املكوا علىٰ أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا علكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكك[٣]وعذيقها[٤] المرجب[٥]، أما والله لو شئتم لنعيدنها جذعة.

لقد لج الحباب في الخصومة، واستعمل في خطبته ألفاظا شديدة وحرض الأنصار علىٰ إجلاء المهاجرين من المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال له عمر محتدا: إذن يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل.

---

(١) مدل الباطل: أي فيه جراءة وعلامة علىٰ الباطل.

(٢) متجانف: أي متمايل متعمد.

(٣) الجذل المحكك: الذي بنصب في العطن لتحتك به الإبل الجربىٰ.

(٤) عذيقها: كل غصن له شعب.

(٥) المرجب: وهو تصغير «تعظيم»، وأراد بالترجيب التعظيم. وقوله: أنا جذيها المحكك وعذيقها المرجب، مثل يضرب لمن يستشفىٰ برأيه ويعتمد عليه.

قال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير وبدل.

وعندئذ قام بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجي الأنصاري، ويكنىٰ أبا النعمان فقال:

يا معشر الأنصار إنا والله كنا أولىٰ فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل علىٰ الناس بذلك، ألا إن محمدا ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولىٰ، وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

فأراد أبو بكر بحكمته أن يضع حدا لهذا الخلاف خشية استحكامه فرشح للخلافة اثنين من المهاجرين قائلًا: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا.

فقالا: لا والله لا نتولىٰ هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله علىٰ الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولىٰ هذا الأمر عليك أبسط يدك نبايعك، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فهو علىٰ ذلك أول من بايع أبا بكر الصديق، ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير (الذي كان رئيس الأوس يوم بعاث ومن أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان أحد المشهود لهم بالعقل وأحد النقباء):

والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبًا أبدًا فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه، فأنكر علىٰ سعد بن عبادة وعلىٰ الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم[١].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٣).

ولم يلق الرأي الذي قاله الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير» قبولًا حتىٰ سعد نفسه فإنه لما سمع به قال: هذا أول الوهن. لأن انقسام القوة موهن لها، وكذا رفضه عمر حيث قال: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن. وأسرع عمر في مبايعة أبي بكر علما منه بمكانته واعترافًا بفضله.

أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، وأقبلت أسلم بجماعاتها حتىٰ تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر وكاد الناس من شدة الزحام يطأون سعد بن عبادة الذي كان يومئذ مريضا ولا يستطيع النهوض، وحدثت بينه وبين عمر مشادة، وأخيرًا حمل سعد وأدخل في داره وترك أيامًا ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال:

أما والله حتىٰ أرميكم بما في كنانتي من نبل، وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل، وايم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتىٰ أعرض علىٰ ربي وأعلم ما حسابي[(١)].

هذا ما أجاب به سعد من دعوه إلىٰ مبايعة أبي بكر بعد أن علم أن البيعة قد تمت ولكن ماذا يفيد امتناعه عن البيعة، وليس له أنصار ولا أغلبية! لقد طمع في الخلافة، وظن أن قومه سيقاومون ويتمسكون به إلىٰ آخر رمق[(٢)] من حياتهم، إنه توعد وهدد بمفرده لذلك لم يكترث به أحد فتركوه وشأنه.

فلما علم أبو بكر بما قال سعد، قال له عمر: لا تدعه حتىٰ يبايع، فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبىٰ، وليس بمبايعتكم حتىٰ يقتل، وليس بمقتول حتىٰ يقتل معه ولده، وأهل بيته، وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٤).

(٢) الرمق: بقية الحياة.

هو رجل واحد، فتركوه عملا برأي بشير.

### تخلف علي رضي الله عنه عن البيعة[(١)]:

قال الزهري: بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتىٰ ماتت فاطمة رضي الله عنها فبايعوه وكانت فاطمة أرسلت إلىٰ أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إليها شيئًا؛ لأن رسول الله قال: «**لا نورث ما تركناه صدقة**» فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر الصديق في ذلك ولم تكلمه حتىٰ توفيت[(٢)].

وقد كان علي رضي الله عنه يرىٰ أنه أحق بالخلافة من أبي بكر لقرابته من رسول الله، لذلك فقد تخلف عن البيعة مع أن رسول الله لما مرض وتعذر عليه الخروج إلىٰ الصلاة، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقالت له عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء. قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فعاودته مثل مقالتها، فقال: «**إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[(٣)].

وفي تقديمه أبا بكر للصلاة إشارة إلىٰ أنه الخليفة بعده. قال الزبير: لا أغمد سيفا حتىٰ يبايع علي، فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة، وقيل لما سمع علي ببيعة أبي بكر خرج في قميصه ما عليه إزار، ولا رداء عجلًا حتىٰ يبايعه ثم استدعىٰ إزاره ورداءه فتجلله، قال ابن الأثير: والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر[(٤)].

وممن تخلف عن بيعة أبي بكر عتبة بن أبي لهب، وخالد بن سعيد

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٣١٥)، الرياض النضرة (٢/ ١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، حد المريض أن يشهد الجماعة (الحديث ٦٦٤).

(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٥١).

والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب وأبي بن كعب ومالوا مع علي، وتخلف أيضا أبو سفيان من بني أمية.

### أفضل الناس بعد رسول الله:

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه، وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة: هو علي وهؤلاء جوزوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وحجتهم أن قيام علي بالجهاد كان أكثر من قيام أبي بكر فوجب أن يكون علي أفضل منه لقوله تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء:٥٩].

وأجاب أهل السنة عنه بأن الجهاد على قسمين: جهاد بالدعوة إلىٰ الدين وجهاد بالسيف، ومعلوم أن أبا بكر رضي الله عنه جاهد في الدين في أول الإسلام بدعوة الناس إلىٰ الإسلام، بدعوته أسلم عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين، وعلي رضي الله عنه إنما جاهد بالسيف عند قوة الإسلام، فكان الأول أولىٰ، وحجة القائلين بفضل أبي بكر رضي الله عنه قوله ﷺ: «**ما طلعت الشمس ولا غربت علىٰ أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر**»[(١)].

### تجهيز رسول الله ودفنه[(٢)]:

بعد أن بويع أبو بكر جهز رسول الله ودفن ليلة الأربعاء وقد غسل في قميصه وغسله العباس، والفضل وقثم ابنا العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولىٰ رسول الله، وحضرهم أوس بن خولىٰ الأنصاري من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خثيمة بقباء، وكان العباس وابناه يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله وعليه قميصه، وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيًا وميتًا[(٣)]،

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٩٦).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٣)، الرياض النظرة (٢/ ٤٢)، تاريخ الخلفاء (ص ٧٠).

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٨)، والمنتظم (٤/ ٥٤).

وكفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض من كرسف -قطن- ليس في كفنه قميص ولا عمامة ولا عروة.

وبعد أن غسل رسول الله وكفن، وضع علىٰ سرير وأدخل عليه المسلمون أفواجا يقومون ويصلون عليه، ثم يخرجون ويدخل آخرون ولم يؤمهم في الصلاة عليه إمام حتىٰ إذا فرغت الرجال دخلت النساء ثم دخل الصبيان.

وكان أول من دخل أبو بكر وعمر، فقالا: -السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته- ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو بكر، وعمر، وصفوا صفوفا لا يؤمهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول الله:

اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل عليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتىٰ أعز الله دينه، وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتىٰ يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، لا نبتغي بالإيمان بدلًا، ولا نشتري به ثمنًا أبدًا[(١)].

فيقول الناس آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل غيرهم، ولما فرغوا نادىٰ عمر خلوا الجنازة وأهلها.

ولما اختلفوا في موضع دفنه قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مات نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه**»[(٢)] قال علي: وأنا أيضًا سمعته. فرفع فراشه ودفن، ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله، كان بالمدينة رجلان أبو عبيدة بن الجراح يضرح لأهل مكة، وكان أبو طلحة الأنصاري هو الذي يلحد لأهل المدينة، فجاء أبو طلحة وألحد لرسول الله، وجعل في قبره قطيفة حمراء كان يلبسها فبسطت تحته، وكانت الأرض ندية، ورش قبره ﷺ بلال بتربة بدا من

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٦٥)، الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٩٠).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٨).

قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة[١] حمرا وبيضا، ورفع قبره عن الأرض قدر شبر، ونزل قبره علي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران، وأوس بن خولىٰ الأنصاري.

## خطبة أبي بكر بعد البيعة:

بعد أن تمت بيعة أبي بكر بيعة عامة، صعد المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه:

أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتىٰ آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتىٰ آخذ منه الحق إن شاء الله تعالىٰ، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلىٰ صلاتكم رحمكم الله.

فيا لها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل، مع التواضع والفضل، والحث علىٰ الجهاد لنصرة الدين، وإعلاء شأن المسلمين.

## خلافة الصديق حق وصواب بالنصوص والإجماع:

**خلافة الصديق:** دلت النصوص الكثيرة علىٰ أنها حق وصواب، وهذا مما لم يختلف العلماء فيه.

**واختلفوا:** هل انعقدت بالنص الذي هو العهد كخلافة عمر، أو بالإجماع والاختيار؟[٢].

---

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور الواسعة لسي فيها بناء.

(٢) وأما قول الإمامية: إنها ثبتت بالنص الجلي علىٰ علي، وقول الزيدية والجارودية: إنها بالنص الخفي عليه، وقول الراوندية: إنها بالنص علىٰ العباس فهذه أقوال ظاهرة الفساد عند أهل العلم والدين، وإنما يدين بها إما جاهل، وإما ظالم، وكثير ممن يدين بها زنديق.

التحقيق في خلافة أبي بكر، وهو الذي يدل عليه كلام أحمد: أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له، وأن النبي ﷺ أخبر بوقوعها علىٰ سبيل الحمد لها، والرضا بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلىٰ بيعته. فهذه الوجوه الثلاثة -الخبر، والأمر، والإرشاد- ثابتة عن النبي ﷺ .

**وهذه الوجوه الثلاثة الثابتة بالسنة دل عليها القرآن[(١)]:**

الوجه الأول: الخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضا بها:

١- قوله في الحديث الصحيح: «**رأيت كأني أنزع علىٰ قليب فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف[(٢)] والله يغفر له؛ ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس يفري فرية حتىٰ ضرب الناس بطعن**»[(٣)] فأخبر بأمور تستلزم صلاح الولاة، وهذه وقعت في خلافة أبي بكر وعمر[(٤)].

٢- وفي سنن أبي داود وغيره من حديث الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال: «**من رأىٰ منكم رؤيا. فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبي بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأيت الكراهية في وجه النبي ﷺ**»[(٥)].

ورواه أيضًا من حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جعدان، عن

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٣٤)، ومجموعة الفتاوىٰ (جـ٣٥/ ٤٧).
(٢) هذا إشارة إلىٰ قلة سنين خلافته.
(٣) العطن: مبرك الإبل. يقول: حتىٰ رويت الإبل، فأناخت. قاله وهب. وهذا الحديث أخرجه البخاري (ك٦٢ ب٥ ص١٩٧)، و(ك ٩١ ب٢٨-٣٠).
(٤) (جـ١/ ١٨٤)، (جـ٣/ ٢٦٧).
(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٦٣٤)، والترمذي رقم (٢٢٨٨) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه مثله. ولم يذكر الكراهية «فاستاء لها النبي ﷺ » يعني فساءه ذلك فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»(١). فبين النبي ﷺ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك(٢).

٣- ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أباك وأخاك حتىٰ أكتب لأبي بكر كتابًا، فإني أخاف أن يتمنىٰ متمن ويقول قائل: أنا أولىٰ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(٣). فبين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابًا خوفًا، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه فترك ذلك، لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر واستحقاقه لهذا الأمر يغني عن العهد.

٤- وفي صحيح البخاري: أنَّ عائشة رضي الله عنها لما قالت: وا رأساه، قال رسول الله ﷺ : «**بل أنا وا رأساه، لقد هممت أن أرسل إلىٰ أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنىٰ المتمنون، ثم قلت: يأبىٰ الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبىٰ المؤمنون**»(٤).

وهذا الحديث الصحيح فيه همه بأن يكتب لأبي بكر كتابًا بالخلافة لئلا يقول قائل: أنا أولىٰ. ثم قال: «**يأبىٰ الله ذلك والمؤمنون**» فلما علم الرسول أن الله تعالىٰ لا يختار إلا أبا بكر والمؤمنون لا يختارون إلا إياه اكتفىٰ بذلك عن الكتاب، ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك

(١) رواه أبو داود (رقم ٤٦٣٥).
(٢) منهاج السنة (جـ١/ ١٨٥).
(٣) صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ١١) ويأتي ما في صحيح البخاري.
(٤) صحيح البخاري (ك ٧٥ ب١٦ جـ٧ ص٨). وقد اتفقا علىٰ «ويأبىٰ الله والمؤمنون» وفي المسند (جـ٦/ ١٠٦) قالت عائشة رضي الله عنها: «فأبىٰ الله والمؤمنون إلا أن يكون أبي، فكان أبي».

الوقت، لأن أمته إذا ولته طوعًا بغير إلزام وكان هو الذي يرضاه الله ورسوله كان أفضل للأمة، ودل علىٰ علمها ودينها؛ فإنها لو ألزمت به لربما قيل إنها أكرهت علىٰ الحق وهي لا تختاره، كما كان يجري ذلك لبني إسرائيل، ويظن الظان أنه كان في الأمة بقايا جاهلية من التقديم بالأنساب، فكان ما اختاره الله لنبيه أفضل، ولهم أفضل، فالحمد لله الذي هدىٰ هذه الأمة، وعلىٰ أن جعلنا من أتباعهم، وأبعد الله من لا يختار ما اختاره الله ورسوله والمؤمنون[(١)].

٥- روىٰ أبو داود أيضًا من حديث ابن شهاب، عن عمرو بن أبان، عن جابر أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أري الليلة رجل صالح كأنا أبا بكر نيط برسول الله** ﷺ **، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**» قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ [(٢)].

٦- وروىٰ أيضًا من حديث حماد بن سلمة، عن أشعث بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب «أن رجلًا قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلوًا دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء عثمان، فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء»[(٣)].

٧- وعن سعيد بن جهمان، عن سفينة، قال: قال رسول الله ﷺ : «**خلافة**

---

(١) منهاج السنة (جـ١/ ١٨٨)، (جـ ٤/ ٢٩٤)، (جـ٣/ ٢٦٨، ٢١٢، ٢٦٩، ٢٧٠) وقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول وبين أن يكتب الكتاب. يقتضي أن هذا الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق إذ اشتبه عليه الأمر فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه، ولله الحمد (منهاج (جـ٣/ ١٣٥).

(٢) أخرجه أبو داود (جـ١/ ٥١٣).

(٣) أخرجه أبو داود في باب الخلفاء (جـ١/ ٥١٥).

**النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء»**(١). قال سعيد: ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر، وخلافة عثمان اثنتي عشرة، وخلافة علي ست سنين. قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليًا ليس بخليفة. فقال: كذبت إستاه بني الزرقاء -يعني: بني مروان-(٢).

## الوجه الثاني: الأمر بطاعته وتفويض الأمر إليه:

١- في السنن عنه ﷺ أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر، وعمر**»(٣).

فأمره بالاقتداء بعده بأبي بكر وعمر دليل علىٰ خلافتهما بعده، ولهذا كان أحد قولي العلماء وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد أن قولهما إذا اتفقا حجة لا يجوز العدول عنها. ولو كانا ظالمين لم يأمر بالاقتداء بهما، فإنه لا يأمر بالاقتداء بالظالم، فإن الظالم لا يكون قدوة يؤتم به بدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤] فلما أمر بالاقتداء بمن بعده والاقتداء هو الائتمام مع إخباره أنهما يكونان بعده دل علىٰ أنهما إماما بعده، وهذا هو المطلوب. ومرتبة المقتدي به في أفعاله وفي سنته للمسلمين فوق مرتبة المتبع فيما سنه

(١) أخرجه أبو داود في باب الخلفاء (جـ١/ ٥١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (جـ٢/ ٥١٥) والإمام أحمد في المسند (جـ٥/ ٢٢٠، ٢٢١) بزيادة قال سعيد قال لي سفينة... قال ابن كثير ؟ : وهذا الحديث فيه رد صريح علىٰ الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة، وعلىٰ النواصب من بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام في إنكار خلافة علي. اهـ ومعنىٰ: «كذبت إستاه بني الزرقاء» الإستاة جمع إست، وهي العجيزة، وتطلق علىٰ حلقة الدبر، والمراد أنها كلمة كاذبة خرجت من أدبارهم كالظرطة فلا قيمة لها، والزرقاء امرأة من أمهات بني أمية.

(٣) أخرجه ابن ماجه (جـ١/ ٩٧)، والترمذي (٥/ ٣٧٤٤)، والحاكم في المستدرك (جـ٣/ ٧٥)، وأحمد في المسند (جـ٥/ ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وأبو داود في سننه.

فقط. والفرق بينه وبين أصحابي كالنجوم مع أنه لا يصح، ليس فيه لفظ بعدي وليس فيه الأمر بالاقتداء بهم[١].

٢- «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[٢]، فأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وجعل خلافتهم إلىٰ مدة معينة، فدل ذلك علىٰ أن المتولي في تلك المدة هم الخلفاء الراشدون، فإنهم خلفوه في ذلك، فانتفىٰ عنهم بالهدىٰ الضلال، وبالرشد الغي، وهذا هو الكمال في العلم والعمل.

فإن الضلال عدم العلم، والغي اتباع الهوىٰ، ولهذا الأظهر أن اتفاق الخلفاء الأربعة حجة لا يجوز خلافه لأمر النبي ﷺ باتباع سنتهم[٣].

٣- في الصحيحين عن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن امرأة سألت النبي ﷺ شيئًا فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ - قال أبي: كأنها تعني الموت - قال فإن لم تجديني فأتي أبا بكر[٤].

٤- وحديث: «**إذا لم تجدوه أعطوها أبا بكر**»[٥] فأمره من يأتيه أن يأتي بعد موته شخصًا يقوم مقامه يدل علىٰ أنه خليفة بعده. وهذا وقع لأبي بكر[٦].

---

(١) منهاج السنة (جـ١/ ١٨٤، ١٨٥)، (جـ٣/ ١٦٢)، (جـ٤/ ٢٣٨)، وانظر مجموع الفتاوىٰ (جـ٢٤/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود (جـ٢/ ٥٠٦) وابن ماجه (جـ١/ ٤٢، ٤٣)، والمسند (جـ٤/ ١٢٦، ١٢٧)، وذكره ابن رجب واستقصىٰ من رواه وشرحه شرحًا وافيًا في كتابه جامع العلوم والحكم.

(٣) منهاج السنة (جـ٣/ ٢٦٧، ٢٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (ك ٦٢ ب٥، ك٩٦، ب٢٤)، مسلم (ص١٨٥٦، ١٨٥٧).

(٥) أخرجه الحاكم عن أنس بن مالك قال: بعثني بنو المصطلق إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلىٰ من ندفع صدقاتنا بعدك: فقال: إلىٰ أبي بكر، وصححه الحاكم وأورده الطبراني أيضًا عن عصمة بن مالك (فتح الباري جـ٧/ ٢٤).

(٦) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٩٥)، (جـ١/ ١٨٤)، (جـ٣/ ٢٦٧).

## الوجه الثالث: دلالته الأمة وإرشادها إلى بيعته

١- في صحيح مسلم: أن أصحاب محمد ﷺ كانوا معه في سفر فذكر الحديث وفيه: «**إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا**»[(١)].

٢- استخلافه في الصلاة، وهو متواتر ثابت في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه كما أخرج البخاري ومسلم، وابن خزيمة، وابن حبان وغيرهم من أهل الصحيح عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متىٰ يقوم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. قال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس**»، فعادوت، فقال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف، فأتاه الرسول فصلىٰ بالناس في حياة النبي ﷺ**»[(٢)] وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف[(٣)] وإنه متىٰ يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متىٰ يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقالت له: فقال

---

(١) صحيح مسلم (٦٨١)، وفيه ثم قال: «ما ترون الناس صنعوا. قال: ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر، وعمر رسول الله ﷺ بعدكم لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر، وعمر يرشدوا» الحديث، وفي المسند (جـ٥/ ٢٩٨) حديث أبي قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال إنكم إن لا تدركوا الماء غدًا تعطشوا، وانطلق الناس يريدون الماء، ولزمت رسول الله ﷺ الحديث، وفيه فقال: «أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم، فقال بعضهم لبعض إن رسول الله ﷺ بالماء وفي القوم أبو بكر، وعمر فقالا: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم إلىٰ الماء ويخلفكم وإن يطع الناس أبا بكر، وعمر يرشدوا قالها ثلاثًا» الحديث.

(٢) ابن خزيمة (جـ٣/ ٦٠).

(٣) سريع الحزن والبكاء.

رسول الله ﷺ : «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس»[(١)].

فصلىٰ بهم مدة مرضه ﷺ من يوم الخميس إلىٰ يوم الخميس إلىٰ يوم الاثنين، فكان مدة مرضه فيما قيل اثني عشر يومًا، وكانت حجرته ﷺ إلىٰ جانب المسجد. ففي هذا أنها راجعته، وأمرت حفصة بمراجعته، وأن النبي ﷺ لامهن علىٰ هذه المراودة، وجعلها من المراودة علىٰ الباطل، كمراودة صواحب يوسف ليوسف، فدل هذا علىٰ تقديم غير أبي بكر في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه، هذا مع أن أبا بكر قد قال لعمر يصلي فلم يتقدم عمر، وقال: أنت أحق بذلك، فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحق بذلك منه، كما اعترف له أنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة. وأنه أفضلهم.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني علىٰ كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر[(٢)].

وكشف الستارة يوم مات وهم يصلون خلف أبي بكر فسر بذلك ففي

---

(١) البخاري (ك ١٠ ب ٤٦، ٣٩، ٦٧، ٦٨، ٧٠) (ك ٩٦ ب ٥)، مسلم (ك ٤ ب ٢١). قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (جـ٥/ ٢٤٤): لما مات النبي ﷺ كان الصديق رضي الله عنه قد صلىٰ بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع وكشف ستر الحجرة، ونظر إلىٰ المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر، فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه، حتىٰ هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتىٰ أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم وأرخىٰ الستارة وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام. فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه، وقال لعائشة: ما أرىٰ رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة وكانت ساكنة بالسنح، فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول: مات الرسول، ذهب النبي ﷺ ، ومن قائل: لم يمت، فذهب سالم بن عبيد إلىٰ الصديق...

(٢) البخاري (ك ٦٤ ب٨٣)، مسلم (ك ٤ ح ٩٣) (رقم ٣١٣).

الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، حتىٰ إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف[(١)]، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا، قال فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر علىٰ عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم. ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخىٰ الستر، قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك[(٢)].

وخرج النبي ﷺ مرة فصلىٰ بهم جالسًا وبقي أبو بكر يصلي بأمره سائر الصلوات ففي الصحيح عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: «دخلت علىٰ عائشة، فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلىٰ، ثقل النبي ﷺ فقال: «**أصلىٰ الناس؟**» قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله. قال: «**ضعوا لي الماء في المخضب**»[(٣)] ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلىٰ الناس؟**» فقلنا: لا ينتظرونك يا رسول الله. قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسول، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال: أبو بكر وكان رجلًا رقيقًا: يا عمر صل بالناس. قال: فقال عمر: أنت أحق بذلك. قالت: فصلىٰ بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر

---

(١) عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته.

(٢) البخاري (ك ٢١ ب ٦)، مسلم (ك ٤ رقم ٤١٩).

(٣) المخضب: إناء نحو المركن الذي يغتسل فيه.

فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلساني إلىٰ جنبه**»، فأجلساه إلىٰ جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد. قال عبيد الله: فدخلت علىٰ عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقال: هات.

فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئًا، غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا. قال: هو علي»[(١)].

فهذا حديث اتفقت فيه عائشة وابن عباس كلاهما يخبران بمرض النبي ﷺ واستخلاف أبي بكر في الصلاة، وأنه صلىٰ بالناس قبل خروج النبي ﷺ أيامًا، وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره أن لا يتأخر بل يقيم مكانه وجلس النبي ﷺ إلىٰ جنبه، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، وأبي وبكر يصلي بصلاة النبي ﷺ، والعلماء كلهم متفقون علىٰ تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول، وتفقهوا في مسائل فيه. وكان قد استخلفه في الصلاة قبل ذلك لما ذهب إلىٰ بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم. ولم ينقل أن النبي ﷺ استخلف في غيبته علىٰ الصلاة في حال سفره وفي حال غيبته في مرضه إلا أبا بكر، ولكن عبد الرحمن بن عوف صلىٰ بالمسلمين مرة صلاة الفجر في السفر عام تبوك؛ لأن النبي ﷺ قد ذهب ليقضي حاجته فتأخر[(٢)(٣)].

(١) البخاري (ك ١٠ ب٤٧، ٥١، ٦٧)، (ك ٦٤ ب ٨٣)، مسلم (رقم٣١١) قلت: وممن أخرج أحاديث استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر في الصلاة مالك في الموطأ (١/ ١٧٠، ١٧١) والترمذي رقم (٣٦٧٣) والنسائي (٢/ ٨٩-١٠٠، ٤/ ٧).

(٢) روىٰ ذلك مسلم عن سهل بن سعد الساعدي (ك٤ ح ١٠٢-١٠٤)، والبخاري (ك ١٠ ب ٤٨).

(٣) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٩٠-٢٩٦)، (جـ١/ ١٨٤).

٣- وفي الترمذي مرفوعًا: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[(١)].

٤- ومثل قوله في الحديث الصحيح علىٰ منبره: «**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، لا يبقىٰ في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر**»[(٢)].

والقائلون بالنص الجلي استدلوا علىٰ ذلك باتفاق الصحابة علىٰ تسميته خليفة رسول الله ﷺ[(٣)]، قالوا: والخليفة إنما يقال لمن استخلفه غيره، واعقدوا بأن الفعيل بمعنىٰ المفعول فدل ذلك علىٰ أن رسول الله ﷺ استخلفه علىٰ أمته، وقالت طائفة: الخليفة يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره فهي فعيل بمعنىٰ فاعل. وهذان الوصفان لم يثبتا إلا لأبي بكر، فكان هو الخليفة.

## دلالة القرآن على خلافة الصديق:

وهذه الوجوه الثلاثة الثابتة بالسنة[(٤)] دل عليها القرآن:

فالأول: في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [النور:٥٥]، وقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وقوله: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران:١٤٤].

---

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٤٥) والحديث أخرجه الترمذي في أبواب المناقب (رقم ٣٧٥٥) وقال: هذا حديث غريب.

(٢) سبق. قال بعضهم: إنما استثنىٰ باب أبي بكر لعلمه بأنه يصير خليفة يحتاج إلىٰ ملازمة المسجد.

(٣) قال الحاكم في المستدرك: ذكر الروايات الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم بإجماعهم في مخاطبتهم إياه بيا خليفة رسول الله وساقها (ص٧٩، ٨٠).
أما حديث عمرو بن ميمون «وسدوا الأبواب كلها إلا باب علي» فإن هذا مما وضعه الشيعة علىٰ طريق المقابلة. (منهاج جـ٣/ ٨، ٩، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات).

(٤) وهي الخبر من النبي ﷺ بوقوعها علىٰ سبيل الحمد لها والرضا بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وإنه دل الأمة وأرشدهم إلىٰ بيعه هذه الأوجه الثلاثة: الخبر، والأمر، والإرشاد.

والثاني: قوله: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ الآية [الفتح:١٦].

والثالث: قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧﴾ [الليل:١٧] وقوله: ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩] وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠].

ونحو ذلك كقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ الآية.

فلو كانت ولاية أبي بكر حرامًا منكرًا لوجب أن ينهوا عن ذلك، ولو كانت ولاية علي واجبة لكان ذلك من أعظم المعروف الذي يجب أن يأمروا به... وإذا شهدوا أن أبا بكر أحق بالإمامة وجب أن يكونوا صادقين في هذه الشهادة.

فثبت صحة خلافته ووجوب طاعته بالكتاب والسنة والإجماع(١).

### آثار استدل بها على خلافته:

١- في صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة وقد سئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، قيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها: ثم من بعد عمر. قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلىٰ هذا(٢).

٢- روىٰ ابن بطة بإسناده، قال: حدثنا الحسن بن أسلم الكاتب، حدثنا

---

(١) المنهاج (جـ٤ ص٢٣٤، ٢٣٥)، وانظر مجموع الفتاوىٰ (جـ٣٥/ ٤٨، ٤٩). وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهدي قال: إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله يقول الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية (تاريخ الخلفاء ص٩٦) وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن عياش قال: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في القرآن، لأن الله يقول: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾... إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ فمن سماه الصديق فليس يكذب وهم قالوا يا خليفة رسول الله، قال ابن كثير: استنباط حسن (انظر تاريخ الخلفاء ص١٠٩-١١٠).

(٢) منهاج (جـ٣/ ١٣٥)، (جـ٤/ ٢٩٣) والحديث في مسلم برقم (٢٣٨٥) (ك ٤٤ ح ٩).

الزعفراني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المبارك بن فضالة، أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلىٰ الحسن البصري فقال: هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقالت: أفي شك صاحبك؟! نعم والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو أتقىٰ من أن يتوثب عليها. قال ابن المبارك: استخلافه هو أمره أن يصلي بالناس. وكان هذا عند الحسن استخلافًا(١).

٣- قال: وأنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد، حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا يحيىٰ بن سليم، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: ولينا أبو بكر فخير خليفة، أرحمه بنا، وأحناه علينا(٢).

٤- قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول: إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر.

٥- وفي كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي ﷺ ذكروا أن في التابوت الذي كان عند المقوقس فيه صور الأنبياء صورة أبي بكر وعمر مع صورة النبي ﷺ، وأنه بهما يقوم أمره(٣).

## طرق أخرى لمن لا يعرف الأسانيد:

١- التواتر: بأنه لم يطلب الخلافة، لا برغبة، ولا برهبة.

كثير من الخاصة فضلًا عن العامة يتعذر عليه معرفة التمييز في هذا الباب وغيره؛ وإنما يعرف ذلك علماء الحديث.

ولكن نذكر طريقًا آخر فنقول: نقدر أن الأخبار المتنازع فيها(٤) لم توجد أو لم يعلم أيها الصحيح، ونترك الاستدلال بها في الطرفين، ونرجع إلىٰ ما هو

---

(١) (جـ١ ص١٨٣).
(٢) السابق.
(٣) منهاج السنة (ج ٤/ ٤٦).
(٤) بين أهل السنة والشيعة.

معلوم من التواتر وما يعلم من المعقول والعادات وما دلت عليه النصوص المتفق عليها؛ فنقول: من المعلوم والمتواتر عند الخاصة والعامة الذي لم يختلف فيه أهل العلم بالمنقولات والسير أن أبا بكر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ لم يطلب الخلافة لا برغبة ولا برهبة، لا بذل فيها ما يرغب الناس به، ولا شهر سيفًا يرهبهم به، ولا كانت له قبيلة ولا أموال تنصره وتقيمه في ذلك، كما جرىٰ من عادة الملوك أن أقاربهم ومواليهم يعاونونهم. ولا طلبها أيضًا بلسانه، ولا قال بايعوني، بل أمر بمبايعة عمر أو أبي عبيدة، ومن تخلف عن بيعته كسعد بن عبادة لم يؤذه ، ولا أكرهه علىٰ المبايعة، ولا منعه حقًا له، ولا حرك عليه ساكنًا. وهذا غاية في عدم إكراه الناس علىٰ المبايعة.

والذين بايعوه هم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ ورضوا عنه، وهم أهل الإيمان والهجرة والجهاد.

ثم إنه في مدة ولايته قاتل بهم المرتدين والمشركين ولم يقاتل مسلمين؛ بل أعاد الأمر إلىٰ ما كان عليه قبل الردة، وأخذ يزيد الإسلام فتوحًا، وشرع في قتال فارس والروم، ومات والمسلمون محاصرو دمشق. وخرج منها أزيد ما دخل فيها، ولم يستأثر عنهم بشيء، ولا أمر له قرابة.

ثم ولىٰ عمر بن الخطاب؛ ففتح الأمصار، وقهر الكفار، وأعز أهل الإيمان، وأذل أهل النفاق والعدوان، ونشر الإسلام والدين وبسط العدل في العالمين، ووضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدين، ومصر الأمصار للمسلمين، وخرج منها أزيد مما دخل فيها، لم يتلوث لهم بمال، ولا ولىٰ أحدًا من أقاربه ولاية، فهذا أمر يعرفه كل أحد.

### ٢- أن المسلمين اتبعوا الحق في بيعته لا الهوى وهذا من كمالهم فيقال:

دواعي المسلمين بعد موت النبي ﷺ كانت متوجهة إلىٰ اتباع الحق، وليس لهم

ما يصرفهم عنه وهم قادرون علىٰ ذلك، وإذا حصل الداعي إلىٰ الحق وانتفىٰ الصارف مع القدرة وجب الفعل. فعلم أن المسلمين اتبعوا فيما فعلوه الحق، ذلك أنهم خير الأمم، وقد أكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة، ولم يكن عند الصديق ﷺ غرض دنيوي يقدمونه لأجله، بل لو فعلوا بموجب الطبع لقدموا عليًا، وكانت الأنصار لو اتبعت الهوىٰ أن تتبع رجلًا من بني هاشم أحب إليها أن تتبع رجلًا من بني تيم، وكذلك عامة قبائل قريش لا سيما بنو عبد مناف وبنو مخزوم، فإن طاعتهم لمنافي كانت أحب إليهم من طاعة تيمي لو اتبعوا الهوىٰ.

ولهذا لما مات رسول الله ﷺ وتولىٰ أبو بكر قيل لأبي قحافة: مات رسول الله ﷺ. فقال: حدث عظيم، فمن تولىٰ بعده؟ قالوا: أبو بكر. قال: أو رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم؟ قالوا: نعم. قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أو كما قال(١).

ولهذا جاء أبو سفيان إلىٰ علي فقال: أرضيتم أن يكون هذا الأمر في بني تيم؟ فقال: يا أبا سفيان إن أمر الإسلام ليس كأمر الجاهلية، أو كما قال(٢).

فعدولهم عن العباس وعلي وغيرهما إلىٰ أبي بكر دليل علىٰ أن القوم وضعوا الحق في نصابه، وأقروه في إهابه، وأتوا الأمر الأرشد من بابه، وأنهم علموا أن الله ورسوله كانا يرضيان تقديم أبي بكر ﷺ.

---

(١) أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ﷺ قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك. فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ، قال: أمر جلل. فمن قام بالأمر بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعت. (تأريخ الخلفاء ص٧٣).

(٢) أخرج الحاكم بسنده، عن مرة الطيب قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها ذلة -يعني أبا بكر- والله لئن شئت لأملئنها عليه خيلًا ورجالًا. فقال علي: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره ذلك شيئًا، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلًا. (المستدرك جـ٣/ ٧٨).

فالله هو ولاه شرعًا وقدرًا، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلىٰ أن ولوه، من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه[(1)].

٣- استخلافه من كمال نبوة محمد ﷺ ورسالته، ومما يظهر أنه رسول الله حقًا، ليس ملكًا من الملوك، فإن عادة الملوك إيثار أقاربهم والموالاة بالولايات أكثر من غيرهم، وكان ذلك مما يقيمون به ملكهم[(2)].

فتولية أبي بكر وعمر بعد النبي ﷺ دون عمه العباس وبني عمه علي وعقيل، وربيعة بن الحارث وأبي سفيان وغيرهم، ودون سائر بني عبد مناف، كعثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد وغيرهم من بني عبد مناف الذين كانوا أجل قريش قدرًا وأقرب نسبًا إلىٰ النبي ﷺ من أعظم الأدلة علىٰ أن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه ليس ملكًا حيث لم يقدم في خلافته أحدًا بقرب نسب منه ولا بشرف بيته؛ بل إنما قدم بالإيمان والتقوىٰ.

ودل ذلك علىٰ أن محمدًا وأمته من بعده إنما يعبدون الله ويطيعون أمره؛ لا يريدون ما يريد غيرهم من العلو في الأرض، ولا يريدون أيضًا ما أبيح لبعض الأنبياء من الملك؛ فإن الله خير محمدًا بين أن يكون عبدًا رسولًا وبين أن يكون ملكًا نبيًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا. فإنه لو أقام أحدًا من أهل بيته لكانت شبهة لمن يظن أنه جمع المال لورثته. فلما لم يستخلف أحدًا من أهل بيته ولا خلف لهم مالًا كان هذا ما يبين أنه كان أبعد الناس عن طلب الرياسة والمال، وإن كان ذلك مباحًا، وأنه لم يكن من الملوك الأنبياء بل كان عبد الله ورسوله[(3)].

٤- تفضيل أئمة الإسلام لأبي بكر وعمر، وتقديمهم لهما:

وقد جاء بعد أولئك في قرون الأمة من يعرف كل أحد ذكاءهم وذكاءهم

(١) منهاج (جـ٣/ ١٢٢)، (جـ٢/ ٢٥٢-٢٥٤)، (جـط/ ٢٣١، ٢٥٤)، (جـ١/ ٢١٥، ١٨٦، ٢١٤).
(٢) وانظر بدائع الفوائد لابن القيم (جـ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨).
(٣) منهاج السنة (جـ٤/ ١٢٥).

ممن ليس لهم غرض في تقديم غير الفاضل لا لأجل رياسته ولا مال، وممن هم أعظم الناس نظرًا في العلم وكشف لحقائقه، وهم كلهم متفقون علىٰ تفضيل أبي بكر وعمر، فكل من له لسان صدق في الأمة من علمائها وعبادها متفقون علىٰ تقديم أبي بكر، وعمر كما قال الشافعي ﷺ فيما نقله عنه البيهقي بإسناده قال: لم يختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر ﷺ علىٰ جميع الصحابة.

وكذلك لم يختلف علماء الإسلام في ذلك كما هو قول مالك وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وداود وأصحابه، والثوري وأصحابه، والليث وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، وإسحاق وأصحابه، وابن جرير وأصحابه، وأبي ثور وأصحابه. وكما هو قول سائر العلماء المشهورين إلا من لا يؤبه له ولا يلتفت إليه... ومالك يحكي الإجماع عمن لقيه أنهم لم يختلفوا في تقديم أبي بكر، وعمر... حتىٰ كان الثوري يقول: من قدم عليًا علىٰ أبي بكر ما أرىٰ أن يصعد له إلىٰ الله عمل. رواه أبو داود في سننه(١).

وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسعيد بن أبي عروبة، وأمثالهم من علماء البصرة، وسعيد بن عبد العزيز وغيره من علماء الشام، وعمرو بن الحارث، وابن وهب وغيرهم من علماء مصر. ومثل عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد. ومثل البخاري، وأبي داود، وإبراهيم الحربي، ومثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان الدايراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد، وسهل بن عبد الله التستري، ومن لا يحصي عددهم إلا الله ممن له في الإسلام لسان صدق، كلهم يجزمون بتقديم أبي بكر، وعمر، كما يجزمون بإمامتهما، مع فرط اجتهادهم في متابعة النبي ﷺ وموالاته. فهل

---

(١) السنن (جـ٤/ ٢٠٦).

يوجب هذا إلا ما علموه من تقديمه هو لأبي بكر وعمر وتفضيله لهما بالمحبة والثناء والمشاورة وغير ذلك من أسباب التفضيل، ولما سئل الرشيد مالك بن أنس عن منزلتهما من النبي ﷺ قال: منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه في مماته، فقال: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك(١).

## ٥- وأعداء النبي يعلمون أفضلية أبي بكر، وعمر ويخشونهما:

تقديم النبي ﷺ وتفضيله له وتخصيصه بالتعظيم قد ظهر للخاص والعام - حتىٰ أعداء النبي ﷺ من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبي بكر من الاختصاص ما ليس لغيره ويخافونه، فقد ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن والمغازي واتفق عليه الناس: أنه لما كان يوم أحد وانهزم المسلمون صعد أبو سفيان إلىٰ الجبل فقال: أفي القوم محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تجيبوه**». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟

فقال النبي ﷺ: «**لا تجيبوه**». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تجيبوه**». فقال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، إن الذين ذكرت لأحياء، وقد بقي لك ما يسوءك(٢)(٣). فهذا مقدم الكفار إذ ذاك لم يسأل إلا عن النبي ﷺ وأبي بكر

---

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٧٧، ١٣٦)، (جـ١/ ٢٢٤). وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيء، قد رأىٰ الصحابة جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر (تأريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٦).

(٢) البخاري (ك٤ ب٦٥، ٦٦)، (ك٥/ ٩٤)، وانظر: جامع الأصول (جـ٩/ ١٧٦، ١٧٨)، وأخرج البيهقي عن الزعفراني قال: سمعت الشافعي يقول: أجمع الناس علىٰ خلافة أبي بكر الصديق، وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر فولوه رقابهم (السيوطي ص٦٦).

(٣) انظر: الهدي النبوي لابن القيم (جـ٢/ ٩٤) الفائدة في ترك إجابتهم أولًا، وأنه لم ينهه عن ترك إجابتهم لما قال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم وأمر بإجابتهم عند قولهم أعل هبل.

وعمر لعلمه وعلم الخاص والعام أن هؤلاء الثلاثة هم رءوس هذا الأمر، وأن قيامه بهم. ودل ذلك علىٰ أنه كان ظاهرًا عند الكفار أن هذين وزيراه وبهما تمام أمره، وأنهما أخص الناس به، وأن لهما من السعي في إظهار الإسلام ما ليس لغيرهما. وهذا أمر معلوم للكافر فضلًا عن المسلمين. حتىٰ إني أعلم طائفة من حذاق المنافقين ممن يقول: إن النبي ﷺ كان رجلًا عاقلًا أقام الرياسة بعقله وحذقه - يقولون إن أبا بكر كان مباطنًا له علىٰ ذلك يعلم أسراره؛ بخلاف عمر، وعثمان وعلي.

فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه أخص الناس بمحمد ﷺ، فهذا النبي وهذا صديقه. فإذا كان محمد أفضل النبيين فصديقه أفضل الصديقين. فكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والإسلام والمحبة والمشاركة في العلم تقتضي أنهما أحق بالخلافة من غيرهما[(١)].

## والصحيح من الأحاديث لا يدل على أفضلية علي، ولا عصمته، ولا أحقيته بالخلافة بعد النبي ﷺ:

### ١- حديث الغدير:

لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم، عن زيد بن أرقم، قال: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بماء يدعىٰ خما[(٢)] بين مكة والمدينة. فقال: «**أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين[(٣)] أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه. ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[(٤)]

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٥٤، ١٣٥- ١٤٠، ١٠٤)، (جـ١/ ١٨٨).
(٢) خم اسم لغيطة علىٰ ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلىٰ الغيطة فيقال: غدير خم.
(٣) سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما. وقيل لثقل العمل بهما.
(٤) مسلم (٢٤٠٨).

هذا اللفظ يدل علىٰ أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المستمسك به لا يضل هو كتاب الله. وهكذا جاء في غير هذا الحديث كما في صحيح مسلم عن جابر في حجة الوداع لما خطب يوم عرفة وقال: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**»(١).

وتذكر الأمة لهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك: من إعطائهم حقوقهم، والامتناع عن ظلمهم. وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم.

فعلم أنه لم يكن في غدير خم أمر بشرع نزل إذ ذاك لا في حق علي ولا في حق غيره، لا بإمامة ولا بغيرها. وهذا الحديث مما انفرد به مسلم، ولم يروه البخاري.

وقد رواه الترمذي وزاد فيه: «**وأنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض**» وقد سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فضعفه، وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا: لا يصح.

والذين اعتقدوا صحة هذه الزيادة قالوا: إنما يدل علىٰ أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون علىٰ ضلالة. والعترة لم تجتمع علىٰ إمامته(٢) ولا أفضليته؛ بل أئمة العترة كابن عباس وغيره يقدمون أبا بكر، وعمر. والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا

---

(١) مسلم (١٢١٨).

(٢) إمامة علي قال ابن كثير في البداية والنهاية (جـ ٧/ ٢٢٥): وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه أوصىٰ إلىٰ علي بالخلافة فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده علىٰ ترك تنفيذ وصيته وإيصالها إلىٰ من أوصىٰ إليه وصرفهم إياها إلىٰ غيره لا لمعنىٰ ولا لسبب. وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن وإجماع السلف والخلف.

يفضلونهما علىٰ علي.

وقد صنف الدارقطني كتاب (ثناء الصحابة علىٰ القرابة، وثناء القرابة علىٰ الصحابة) وأهل السنة لا ينازعون في كمال علي، وأنه في الدرجة العليا من الكمال، وإنما النزاع في كونه أكمل من الثلاثة وأحق بالخلافة منهم(١).

٢- حديث المباهلة:

رواه مسلم، عن سعد بن أبي وقاص، قال في حديث طويل ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًا، وفاطمة، وحسنًا، وحسينًا، فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»(٢).

ولكن لا دلالة فيه علىٰ الإمام ولا علىٰ الأفضلية فقد شرك عليًا فيه فاطمة، والحسن، والحسين، فعلم أن ذلك لا يختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة، بل شركه فيه المرأة والصبي؛ فإن الحسن والحسين كانا صغيرين وقت المباهلة. وإنما دعا هؤلاء لأنه أمر أن يدعو كل واحد الأقربين والأبناء والنساء والأنفس، فدعا الواحد من أولئك أبناءه ونساءه وأخص الرجال به نسبًا، وهؤلاء أقرب إلىٰ النبي نسبًا، وإن كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه؛ لأن المقصود أن يدعو كل واحد منهم أخص الناس به لما في جبلة الإنسان من الخوف عليه وعلىٰ ذي رحمه الأقربين إليه. وقوله ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي رجالنا ورجالكم، أي الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب، والرجال الذين هم من جنسكم. والمراد التجانس في القرابة فقط، وكون علي تعين للمباهلة؛ إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه(٣) لا يوجب

---

(١) منهاج (جـ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦)، (جـ٤/ ١٠٤، ٨٥).

(٢) مسلم (٢٤٠٤).

(٣) لأنه لم يكن قد بقي من أعمامه إلا العباس، والعباس لم يكن من السابقين الأولين، ولا كان له به

أن يكون مساويًا للنبي ﷺ في شيء من الأشياء، بل لا يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقًا؛ بل له بالمباهلة نوع فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة، وحسن وحسين(١).

### ٣- حديث الكساء:

روىٰ مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب:٣٣]. ولكن ليس في هذا دلالة علىٰ عصمتهم ولا إمامتهم.

وتحقيق ذلك في مقامين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ كقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦] كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الآيتين [النساء:٢٦-٢٧]. فإرادة الله في هذه الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به، وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به، ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد، ولا أنه قضاه وقدره، ولا أنه يكون لا محالة.

والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية قال: «**اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**» وهذا دليل علىٰ أنه لم يخبر بوقوع ذلك، فإنه لو كان وقع لكان يثني علىٰ الله بوقوعه ويشكره علىٰ ذلك؛ لا يقتصر علىٰ مجرد الدعاء(٢).

---

اختصاص كعلي، وأما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي، وكان جعفر قد قتل قبل ذلك (ابن تيمية).

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٣٤)، (جـ٣/ ١١)، (جـ٢/ ١٢٥، ١٢٦).

(٢) ويفهم من هذا أن عبارة «... آله الطيبين الطاهرين» لا تصلح؛ لأنها من باب الخبر، وما في

ومما يبين ذلك أن أزواج النبي ﷺ مذكورات في الآية والكلام في الأمر بالتطهير بإيجابه ووعد الثواب علىٰ فعله والعقاب علىٰ تركه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٠-٣٣] فالخطاب كله لأزواج النبي ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد؛ لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، ليس مختصًا بأزواجه؛ بل هو متناول لأهل البيت كلهم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين أخص من غيرهم بذلك؛ ولذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم.

المقام الثاني: أن نقول: هب أن القرآن دل علىٰ طهارتهم وعلىٰ إذهاب الرجس عنهم؛ لكن ليس في ذلك ما يدل علىٰ العصمة من الخطأ، والدليل عليه أن الله لم يرد بما أمر به أزواج النبي ﷺ ألا يصدر من واحدة منهن خطأ، فإن الخطأ مغفور لهن ولغيرهن، والتطهير من الذنب: إما بألا يفعله العبد، وإما بأن يتوب منه كما قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] فدعاء النبي ﷺ بأن يطهرهم تطهيرًا كدعائه بأن يزكيهم ويطيبهم ويجعلهم متقين ونحو ذلك. ومعلوم أن من استقر أمره علىٰ ذلك فهو داخل في هذا لا تكون الطهارة التي دعا بها لهم بأعظم مما دعا به لنفسه. وقد قال: «**اللهم طهرني من خطاياي بالثلج والبرد والماء البارد**»[1]، فمن وقع ذنبه مغفورًا أو مكفرًا فقد طهره الله منه تطهيرًا. ولكن من مات متوسخًا بذنوبه فإنه لم يطهر منها في حياته.

---

الآية والحديث من باب الطلب ففرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية القدرية.

(١) مسلم رقم (٤٧٦) ولفظه «اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس» أبو داود رقم (٨٤٦)، الترمذي (٣٥٤١)، النسائي (جـ١/ ١٩٨، ١٩٩) في الغسل، وأحمد (جـ٤/ ٣٨١).

وبالجملة: فالتطهير الذي أراده الله والذي دعا به النبي ﷺ ليس هو العصمة.

وقال الشيخ في موضع آخر: والله لم يخبر أنه طهر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس؛ فإن هذا كذب علىٰ الله. كيف ونحن نعلم أن من بني هاشم من ليس بمطهر. ولأنه قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقد تقدم أن هذا مثل قوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦] ونحو ذلك مما فيه بيان أن الله يحب ذلك لكم ويرضاه لكم ويأمركم به، فمن فعله حصل له هذا المراد المحبوب، ومن لم يفعله لم يحصل له ذلك[١].

## ٤- حديث: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»:

روىٰ البخاري بسنده، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ خرج إلىٰ تبوك، واستخلف عليًا، فقال: أتخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه ليس نبي بعدي**»، والحديث ثابت في الصحيحين[٢]، لكن لا يدل علىٰ الخلافة بعد الموت.

١- لم يكن هذا الاستخلاف كاستخلاف هارون؛ لأن العسكر كان مع هارون، وإنما ذهب موسىٰ وحده، وأما استخلاف النبي ﷺ فجميع العسكر كان معه، ولم يتخلف بالمدينة غير النساء والصبيان إلا معذور أو عاص، فهو إنما خص عليًا لما توهم من وهن الاستخلاف ونقص درجته، ومن استخلفه سوىٰ علي لما لم يتوهموا أن في الاستخلاف نقصًا لم يحتج أن يخبرهم بمثل هذا الكلام.

٢- أن هذا كما شبه أبا بكر بإبراهيم وعيسىٰ، وشبه عمر بنوح وموسىٰ من الشدة في الله واللين في الله –لم يمتنع أن يكون في أمته من يشبه إبراهيم

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٢٠- ٣٢)، (جـ٢/ ٢١٩، ١٤٥، ١٤٦).
(٢) البخاري (ك٦٤ جـ٥/ ١٢٩ ب٧٨)، مسلم (رقم ٢٤٠٤).

وعيسىٰ ونوح، وموسىٰ- فالاختصاص بالكمال لا يمنع المشاركة في أصل التشبيه، وهؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكل من أبي بكر وعمر شبهه باثنين لا بواحد، فكان هذا التشبيه أعظم من تشبيه علي. وكذلك هنا إنما هو بمنزلة هارون فيما دل عليه السياق وهو استخلافه في مغيبه كما استخلف موسىٰ هارون.

٣- أنه لو كان بمنزلة هارون مطلقًا لم يستخلف عليه أحدًا، وقد كان يستخلف علىٰ المدينة غيره وهو فيها، كما استخلف علىٰ المدينة عام خيبر غير علي وكان علي بها أرمد.

٤- أن الاستخلاف في الحياة نوع نيابة لا بد منه لكل ولي أمر، وليس كل من يصلح للاستخلاف في الحياة علىٰ بعض الأمة يصلح أن يستخلف بعد الموت.

٥- أن ذلك عام تبوك، ثم بعد رجوع النبي ﷺ بعث أبا بكر أميرًا علىٰ الموسم، وأردفه بعلي. فقال: أمير، أم مأمور؟ فكان أبو بكر أميرًا عليه، وعلي ومن معه كالمأمور مع أميره يصلي خلفه وينادي مع الناس بالموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. وإنما أردفه به لينبذ العهد إلىٰ العرب، فإنه كان من عاداتهم ألا يعقد العقود وينبذها إلا السيد المطاع أو رجل من أهل بيته.

٦- أنه لو أراد أن يكون خليفة علىٰ أمته بعده لم يكن هذا خطابًا بينهما يناجيه به، ولا كان أخره حتىٰ يجيء علي ويشتكي.

وبالجملة فالاستخلافات علىٰ المدينة ليست من خصائصه، ولا تدل علىٰ الأفضلية، ولا علىٰ الإمامة؛ بل قد استخلف عددًا غيره[١].

(١) (جـ٤/ ٨٧-٩٢)، (جـ٢/ ٢٢٤)، (جـ٣/ ٨/ ٩/ ١٦) (باختصار وترتيب الأرقام).

### ٥- حديث: «أقضاكم علي»:

لم يروه أحد من أهل الكتب الستة ولا أهل المسانيد المشهورة لا أحمد ولا غيره بإسناد صحيح ولا ضعيف. ولكن قال عمر ﵁: أُبي أقرأنا، وعلي أقضانا[(١)]. وهذا قاله بعد موت أُبي. والحديث الذي فيه ذكر علي مع ضعفه فيه أن معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض، فلو قدر صحة هذا الحديث لكان الأعلم بالحلال والحرام أوسع علمًا من الأعلم بالقضاء... وقول عمر: علي أقضانا. إنما هو في فصل الخصومات في الظاهر مع جواز أن يكون في الباطن بخلافه... وعلم الحلال والحرام يتناول الباطن والظاهر[(٢)].

### الأحاديث المكذوبة منها:

**١- تصدق علي بالخاتم في الصلاة.** وأن آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ نزلت فيه: حديث تصدق علي بالخاتم في الصلاة كذب باتفاق أهل المعرفة.

**الوجه الثاني عشر:** أن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلىٰ قوله ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥]. نزلت في النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين لما كان بعض المنافقين كعبد الله بن أبي يوالي اليهود ويقول إني أخاف الدوائر، فقال عبادة بن الصامت: إني أتولىٰ الله ورسوله، وأبرأ إلىٰ الله ورسوله من هؤلاء الكفار وموالاتهم. ونقل ابن عباس: أنها نزلت في أبي بكر. والآية عامة في جميع المؤمنين المتصفين بجميع هذه الصفات ولا تختص بواحد بعينه لا أبو بكر ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا غيرهم؛ لكن هؤلاء أحق الأمة بالدخول فيها.

**الوجه السادس عشر:** أن الفرق بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٣٣٠)، المسند (٣/ ١٨٤، ٢٨١)، وسنن ابن ماجه (١/ ٥٥).
(٢) منهاج السنة (جـ٤/ ١٣٨).

معروف، والولاية ضد العداوة، وهي المذكورة في هذه النصوص؛ ليست هي الولاية بالكسر التي هي الإمارة(١).

٢- حديث: «من ناصب عليًا الخلافة فهو كافر»(٢):

هذه الأحاديث مما يعلم بالاضطرار أنها كذب علىٰ رسول الله ﷺ، وأنها مناقضة لدين الإسلام، وأنها تستلزم تكفير علي وتكفير من خالفه، وأنه لم يقلها من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ بل إضافتها إلىٰ رسول الله ﷺ من أعظم القدح والطعن فيه.

٣- حديث: إنه قال لعلي: «أنت مني بمنزلة أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني»:

كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد تقدم كلام ابن حزم أن سائر هذه الأحاديث موضوعة، يعلم ذلك من له أدنىٰ علم بالأخبار ونقلها. وقد صدق في ذلك... لذلك لم يخرجه أحد من أهل الحديث في الكتب التي يحتج بما فيها(٣).

٤- حديث: «إن الله عهد إلي عهدًا في علي، وأنه إمام الهدىٰ، وإمام الأولياء، وهو الكلمة التي ألزمها للمتقين»:

كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث والعلم. ومجرد رواية صاحب «الحلية» ونحوه لا تفيد ولا تدل علىٰ الصحة. والآفة ممن فوقهم... وقوله في الحديث: «هو كلمة التقوىٰ» وتسميته كلمة مما يبين أن هذا كذب؛

---

(١) منهاج السنة (جـ٤/ ٢-٩)، (جـ١/ ٢٠٨)، وانظر (مجموع الفتاوىٰ جـ٤/ ٤١٨).

(٢) ذكر هذا الحديث وحديث «أن رسول الله ﷺ رأىٰ عليًا مقبلًا فقال: أنا وهذا حجة الله علىٰ أمتي يوم القيامة» وحديث «من مات وهو يبغضك» إلخ. ثم قال: منهاج (جـ٤/ ١٠٧-١٠٩)، (جـ١/ ٢٠٨)، وانظر (مجموع الفتاوىٰ جـ٤/ ٤١٨).

(٣) منهاج السنة (جـ ٤/ ٩٥، ٨٦).

فإن تسميته كلمة من جنس تسمية المسيح كلمة الله، والمسيح سمي بذلك لأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، فهو مخلوق بالكلمة. وأما علي فهو مخلوق كما خلق سائر الناس. وكلمة التقوىٰ مثل لا إله إلا الله، والله أكبر(١).

٥- حديث النجم: «من أنقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي فطلبوا ذلك النجم فوجدوه في بيت علي بن أبي طالب، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوىٰ وهوىٰ أهل بيته ومال إلىٰ ابن عمه علي بن أبي طالب، فعند ذلك نزلت هذه السورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾»:

قال أبو الفرج: هذا حديث موضوع لا شك فيه، وما أبرد الذي وضعه، وما أبعد ما ذكر، وفي إسناده ظلمات... قلت: وقد أجاب الشيخ عنه بثمانية أوجه(٢).

٦- حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»:

هذا أضعف وأوهىٰ، ولهذا إنما يعد في الموضوعات والمكذوبات وإن كان الترمذي قد رواه، ولهذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وبين أن سائر طرقه موضوعة.

والكذب يعرف من نفس متنه.. فإن النبي ﷺ إذا كان مدينة العلم ولم يكن لها إلا باب واحد ولم يبلغ عنه العلم إلا واحد فسد أمر الإسلام(٣)...

(١) منهاج السنة (جـ٣/ ١٨، ١٩).

(٢) المنهاج (جـ٤/ ١٧-١٩).

(٣) منهاج (جـ٤ / ١٣٨، ١٣٩)، وانظر مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٨، ٤١٣) قلت أما حديث «لا يزال هذا الدين قائمًا إلىٰ اثني عشر خليفة» فقد بين الشيخ ؟ أنه ينطبق علىٰ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز (انظر: بحث آل رسول الله ﷺ وأولياؤه - موقف أهل السنة والشيعة من عقائدهم وفضائلهم وفقههم وفقهائهم) مطبوع عام (١٤١٢هـ).

$ +

# الفتوح والغزوات والحروب في عهده

## إرسال جيش أسامة بن زيد[(١)] وم الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١هـ (١١ حزيران - يونيه ٦م):

كان رسول الله قد استعمل أسامة بن زيد، وأمره بالتوجه إلىٰ حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة، وقد كان رسول الله قد ضرب البعث علىٰ أهل المدينة ومن حولها، وفيهم عمر بن الخطاب وعسكر جيش أسامة بالجرف فاشتكىٰ رسول الله ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول الله عاصبًا رأسه فقال:

«**أيها الناس أنفذوا جيش أسامة**» ثلاث مرات، وقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إنه كان خليقا للإمارة، وايم الله إنه لمن أحب الناس إلي من بعده**»[(٢)].

وذلك لأن الناس طعنوا في إمارة أسامة، لأنه كان شابًا لم يتم العشرين من عمره.

توفي رسول الله ولم يسر الجيش، وارتد كثير من العرب ونجم النفاق، واشرأبت[(٣)] أعناق اليهود والنصارىٰ وبقي المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم، فقال الناس لأبي بكر: إن جيش أسامة جند المسلمين، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة زيد بن حارثة. الحديث (٤٢٥٠).

(٣) اشرأبت: ارتفعت وعلت.

فماذا يصنع أبو بكر؟ إنهم يعترضون علىٰ إمارة أسامة لصغر سنه، ويعترضون علىٰ إرسال جيش المسلمين إلىٰ الشام لارتداد العرب، وقلة عدد المسلمين، وخزفهم علىٰ مركزهم بالمدينة، غير أن رسول الله كان يشدد في إرسال جيش أسامة، وقد أخذ أبو بكر عهدا علىٰ نفسه بأن لا يعصي الله ورسوله، فهل يخالف أمر رسول الله؟ كلا، فإن ذلك ليس من طبيعته ولا من خلقه، وإنما خلقه الثبات إلىٰ آخر لحظة وتنفيذ أوامر رسول الله بكل دقة في كل كبيرة وصغيرة مهما كلفه ذلك لقوة إيمانه، وثبات يقينه وعملا بواجب الصداقة، لهذا كانت إجابته للمعترضين في غاية القوة حيث قال:

والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرىٰ غيري لأنفذته[1].

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه في الرجوع وطلب إليه الأنصار إن أبىٰ أن يولي عليه من هو أقدم سنا من أسامة:

لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضىٰ به رسول الله ﷺ[2].

فقال عمر: إن الأنصار أمروني أن أبلغك وأنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالسا يأخذ بلحية عمر فقال له:

ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه.

فخرج عمر إلىٰ الناس بعد أم سمع ورأىٰ من أبي بكر ما رأىٰ، فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله.

وإجابة أبي بكر بهذه القوة تذكرنا بما قاله رسول الله لعمه أبي طالب

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٥)، البداية والنهاية (٦/ ٣٠٤).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦).

حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته: «**يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي علىٰ أن أترك هذا الأمر حتىٰ يظهره الله أو أهلك دونه فيه ما تركته**»[١].

خرج أبو بكر حتىٰ أتىٰ الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن، فقال: والله لا تنزل والله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة. حتىٰ إذا انتهىٰ قال: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، ومعنىٰ ذلك أنه يستأذن أسامة - قائد الجيش - أن يترك له عمر لأنه كان في الجيش فأذن له وكان إرسال الجيش بعد بيعة أبي بكر بيوم أعني يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول.

### وصية أبي بكر الجيش[٢]:

أوصىٰ أبو بكر جيش أسامة فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا أو شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نحلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون علىٰ قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله.

(١) الكامل (١/ ٥٨٧)، والمنتظم (٢/ ٣٦٨).
(٢) الطبري (٢/ ٢٤٦).

وقال لأسامة: إصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ[(١)]، ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل ولا تقصرن من شئ من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده.

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما سوىٰ مقامه ومنقلبه راجعا من غير أن يفقد أحدًا من رجاله.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعًا للمسلمين فإن العرب قالوا: لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

ولم نعثر في المراجع التاريخية عن عدد جيش أسامة ولا علىٰ قوة جيش العدو وخسائره، ولم نعلم ما هي الغنائم التي غنمها المسلمون.

## إمارة باذان على اليمن في عهد رسول الله[(٢)]:

باذان رجل من الفرس بعثه كسرىٰ أبرويز إلىٰ اليمن نائبا عليها فبقي إلىٰ بعثة رسول الله ﷺ وهو آخر من قدم من اليمن من ولاة العجم.

ولما كاتب النبي كسرىٰ بما كاتبه مزق كسرىٰ الكتاب وبعث إلىٰ باذان أن أرسل إلىٰ هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين وكتب مهما إلىٰ النبي يأمره بالمسير معهما إلىٰ كسرىٰ فقال لهم رسول الله: «**إرجعا وقولا لباذان أسلم فإن أسلم أؤمره علىٰ ما تحت يده وأملكه علىٰ قومه**»[(٣)] فأتيا إلىٰ باذان وكان كسرىٰ قد مات، فقال باذان: إني لأراه نبيا ولننظرن فإن كان ما قال حقا فهو فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرىٰ فيه رأينا، فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه بن

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٧).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ١٣٤)، البداية والنهاية (٤/ ٢٧٠)، المنتظم (٣/ ٢٨٣).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٢٦٩). وفيه أن رسول الله ﷺ أخبرهما بأن الله سلط علىٰ كسرىٰ ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

كسرىٰ بقتل كسرىٰ ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن، فأسلم باذان وأسلم معه جماعة من العجم وبعث بذلك إلىٰ النبي وكان سنة ١٠ هجرية، فجمع له النبي عمل اليمن وأمره علىٰ جميع مخاليفه فلم يزل عاملا عليها حتىٰ مات.

فلما مات باذان فرق رسول الله أمراءه في اليمن بالكيفية الآتية:

١- عمرو بن حزم علىٰ نجران.

٢- خالد بن سعيد بن العاص علىٰ ما بين نجران وزبيد.

٣- عامر بن شهر الهمداني علىٰ همدان.

٤- شهر بن باذان علىٰ صنعاء.

٥- الطاهر بن أبي هالة علىٰ عك والأشعريين.

٦- أبو مسىٰ الأشعري علىٰ مأرب.

٧- يعلي بن أمية علىٰ الجند.

٨- زياد بن لبيد الأنصاري علىٰ أعمال حضرموت.

٩- عكاشة بن ثور علىٰ السكاسك والسكون.

١٠- عبد الله بن قيس أبو موسىٰ الأشعري علىٰ بني معاوية بن كندة.

وكان معاذ بن جبل معلما يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت.

## ظهور المتنبئين في بلاد العرب:

ادعىٰ النبوة بعض العرب في الجهات النائية عن المدينة ومكة مثل اليمامة واليمن توصلا إلىٰ الملك والرياسة والتغلب علىٰ القبائل المجاورة لهم، فمنهم من حاول محاكاة القرآن تغريرا بعقول السذج من العرب فجاء كلامه سخيفا مضحكا لا معنىٰ له، ومنهم من لم يقتصر علىٰ ذلك بل أتىٰ بالأعاجيب، وما هي إلا شعبذة وكهانة وسحر مبين، لكنهم افتضحوا وظهر كذبهم ونفاقهم، وعدا ذلك فإنهم أحلوا المحرمات وارتكبوا الفواحش فكان مصيرهم الخذلان

والفشل، وقد خضعت جميع هذه القبائل إلىٰ الإسلام بفضل حزم أبي بكر الصديق ومحاربته أهل الردة كما سيأتي ذكر ذلك مفصلًا، والآن نبدأ بأخبار الأسود العنسي المتنبئ الكذاب:

## الأسود العنسي المتنبئ الكذاب[١]:

الأسود العنسي يلقب بذي الخمار لأنه كان معتما متخمرا دائما واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، وعنس بطن من مذحج وكان كاهنًا مشعبذًا[٢] يري قومه الأعاجيب ويجلبهم بحلاوة منطقة، ادعىٰ النبوة حين مرض النبي واتبعه مذحج عامة وكانت ردته أول ردة في الإسلام علىٰ عهد رسول الله، وقد سمىٰ نفسه رحمن اليمن أي أنه يتكلم باسم الرحمن، كما سمىٰ مسيلمة [نفسه] رحمن اليمامة، ويقال: كان له شيطان يخبره بكل شيء.

فغزا نجران وكان عليها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد فأخرجهما ومعه ٧٠٠ فارس إلىٰ صنعاء وعليها شهر بن باذان فخرج إليه شهر فقتله الأسود، كان قواده قيس بن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن قيس الجنبي ويزيد بن محرم ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الأفكل الأزدي، استولىٰ الأسود علىٰ صنعاء وغلب علىٰ حضرموت إلىٰ أعمال الطائف إلىٰ البحرين والأحساء إلىٰ عدن، وقد استولىٰ علىٰ جنوب غربي بلاد العرب في أقل من شهر وأسند أمر جنده إلىٰ قيس بن عبد يغوث وأسند أمر الأبناء إلىٰ فيروز وداذويه فلما أثخن[٣] في الأرض استخف بقيس وبفيروز الديلمي وداذويه.

خاف من بحضرموت من المسلمين أن يحاربهم الأسود أو يظهر كذاب آخر مثله فأتىٰ من باليمن كتاب من رسول الله يأمرهم بقتال الأسود فقام معاذ

---

(١) البداية النهاية (٤/ ٦٩٧).

(٢) مشعبذا: مشعوذا.

(٣) أثخن: إذا غلب وقهر.

يتنقل في القبائل يعلمهم الإسلام فقوية نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي ﷺ وبر بن يحنس الأزدي.

### قتل الأسود العنسي[١]:

من سخافة عقل الأسود استخفافه بقائد جيشه وبفيروز وداذويه وهم الذين أعانوه علىٰ إخضاع اليمن له في مدة قصيرة، ثم إنه بعد أن قتل شهر بن باذان تزوج امرأته آزاد وهي ابنة عم فيروز، فلما علم المسلمون تغيره علىٰ رئيس جنده دعوه وأنبأوه بكتاب رسول الله بقتل الأسود ففرح فيروز لذلك النبأ وكلموا آزاد زوجته في قتله وكانت تبغضه لأنه قتل زوجها ولأنه كان سيء الخلق فاسقًا.

تمكن فيروز، وداذويه، وقيس من دخول القصر بالرغم من وجود الحراس وذلك بواسطة نقب نقبوه بإشارة آزاد ثم انقضوا عليه وقتلوه وحزوا رأسه، ولما طلع الفجر نادوا بشعار المسلمين وهو الأذان، ولما اجتمع المسلمون والكفار ألقوا إليهم الرأس، وبذلك خلصت صنعاء والجند من هذا الشر المستطير، واتفق الناس علىٰ تولية معاذ بن جبل فكان يصلي بالناس، وعاد عمال رسول الله إلىٰ أعمالهم وكتبوا إليه ﷺ بالخبر، فوصل الرسول المدينة صبيحة اليوم الذي توفي فيه رسول الله، وكان بين خروج الأسود ومقتله نحو أربعة أشهر[٢].

وقد جاء في أسد الغابة عند ترجمة باذان: أن باذان كان له أثر كبير في قتل الأسود مع أنه لم يكن له أي أثر في ذلك لأن باذان مات في عهد رسول الله وفرق ﷺ أمراءه علىٰ اليمن فكان شهر بن باذان علىٰ صنعاء ثم استولىٰ عليها الأسود الذي قتل غيلة[٣] كما تقدم.

---

(١) شذرات الذهب (١/ ١٥٠)، البداية والنهاية (٥/ ٥٠)، البدء والتاريخ (٥/ ١٥٣).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٠٧)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٣١).
(٣) غيلة: أي اغتيالا وخديعة.

## قتال أهل الردة[١]:

لما توفي رسول الله اشتد الأمر علىٰ المسلمين لارتداد العرب وخافوا الإغارة علىٰ المدينة بعد أن سير أبو بكر جيش أسامة إذ قد استفحل أمر مسيلمة وطليحة واجتمع علىٰ طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان تبعا لعيينة بن حصن فإنه قال لنبي من الحليفين - يعني أسدا وغطفان - أحب إلينا من نبي من قريش، وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه وتبعته غطفان وكان عيينة من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة.

وقدمت رسل النبي ﷺ من اليمامة وأسد وغيرهما ودفعوا كتبهم لأبي بكر، وأخبروه الخبر عن مسيلمة، وطليحة، فعزم أبو بكر علىٰ قتالهم واستعد لصد هجمات المغيرين إلىٰ أن يأتي جيش أسامة، والآن نذكر ما كان من أمر طليحة الذي ادعىٰ النبوة.

## طليحة الأسدي[٢]:

طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة كان كاهنا فأسلم ثم ارتد وادعىٰ النبوة في حياة رسول الله، وظهر في بني أسد واتبعه أفاريق من العرب ونزل سميراء بطريق مكة، فوجه إليه النبي صلة الله عليه وسلم ضرار ابن الأزور عاملا علىٰ بني أسد، وأمرهم بالقيام علىٰ من ارتد فضعف أمر طليحة حتىٰ لم يبق إلا أخذه فضربه به بسيف فلم يصنع شيئا، فاعتقد الناس أن السلاح لا يؤثر فيه فكثر جمعه، ومات النبي ﷺ وهم علىٰ ذلك، وأكثر من تبعه من أسد، وغطفان، وطيء، وفزارة وغيرهم، وفر ضرار ومن معه إلىٰ المدينة، وكان طليحة يدعي أن جبرائيل كان يأتيه، وكان يسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة يقول: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، وتقبيح أدباركم

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٩)، الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٥٣٤).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣١١)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٤٦٧).

شيئا فاذكروا الله قياما فإن الرغوة فوق الصريح، وأنفذ طليحة وفوده إلىٰ أبي بكر في الموادعة علىٰ الصلاة وترك الزكاة، فأبىٰ أبو بكر ذلك وكان لطليحة أخ يدعىٰ حبال جعله علىٰ فريق من أتباعه، ولما عرض الوفد علىٰ أبي بكر ترك الزكاة قال: والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه[(١)].

### الإغارة على المدينة:

توقع أبو بكر الإغارة علىٰ المدينة فجعل بعد سير الوفد علىٰ أنقاب[(٢)] المدينة عليا وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الإغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثا حتىٰ طرقوا المدينة ليلًا، وخلفوا بعضهم بذي حسىٰ ليكونوا لهم رداء فوافوا ليلًا الأنقاب، وعليها المقاتلة فمنعوهم خارج المدينة وأرسلوا إلىٰ أبي بكر بالخبر فخرج إليهم جيش المدينة واتبعوهم حتىٰ إذا كانوا بذي حسىٰ خرج إليهم أصحاب طليحة بقرب قد نفخوها وفيها الحبال فدهدهوها علىٰ الأرض فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلىٰ المدينة، ولم يصرع مسلم، وظن الكفار بالمسلمين الوهن ثم انضم إلىٰ رجال طليحة غيرهم من أصحابه، وبات أبو بكر بالمدينة يعبئ الجيش ثم خرج ليلا يمشي وعلىٰ ميمنته النعمان بن مقرن وعلىٰ ميسرته عبد الله بن مقرن وعلىٰ الساقة سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو علىٰ صعيد واحد، فقاتلهم المسلمون حتىٰ ولوا مدبرين، واقتفىٰ أثرهم أبو بكر حتىٰ نزل بذي القصة. وكان ذلك أول فتح فوضع بها الحامية وعليها النعمان بن مقرن، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتًا[(٣)].

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٤٤)، تاريخ الخلفاء (١/ ٧٤)، البداية والنهاية (٦/ ٣١١)، البدء والتاريخ (٥/ ١٥٣)، المنتظم (٤/ ٧٦).

(٢) الأنقاب: جمع نقب وهو الطريق الضيق في الجبل.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٣)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٣)، بدء التاريخ (٥/ ١٥٧)، المنتظم (٤/ ٧٥).

كانت هذه الموقعة صغيرة ولكن كان للنصر الذي أحرزه أبو بكر شأن كبير، ووقع عظيم في النفوس، وقد كان المرتدون يتحدثون فيما بينهم بقلة عدد المسلمين فلو أنهم انهزموا لكان الخطب فادحا، وعلىٰ أثر هذا الانتصار طرقت المدينة الصدقات فانتعش المسلمون وقويت عزيمتهم وكان أول من جاء بالصدقات إلىٰ الخليفة وفود بني تميم وبني طيء.

## عودة أسامة سنة ١١هـ (سبتمبر سنة ٦٣٢م):

وأخيرًا عاد أسامة من غزوته، وأصبحت المدينة في مأمن من الخطر، ووزع أبو بكر الغنائم علىٰ الناس، وقد نال أبو بكر ما أراد من إرسال أسامة واعتقد العرب بقوة المسلمين، ثم إن أبا بكر استفاد من الفرصة التي سنحت له بطرد المرتدين من ذي القصة إلىٰ الربذة واستخلف أسامة علىٰ المدينة وقال له ولجنده استريحوا وأريحوا ظهوركم ثم خرج في الذين خرج معهم إلىٰ ذي القصة وهم قوة صغيرة، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد علىٰ العدو فابعث رجلًا فإن أصيب أمرت آخر، فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي[(١)].

سار أبو بكر إلىٰ ذي حسىٰ، وذي القصة حتىٰ نزل بالأبرق فاقتتلوا فهزم الحارث، وعوف، وأخذ الحطيئة أسيرا، فطارت عبس، وبنو بكر وأقام أبو بكر علىٰ الأبرق أياما، وغلب علىٰ بني ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم، ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلىٰ طليحة وهو ببزاخة وكان رحل من سميراء إليها، فأقام عليها، وعاد أبو بكر إلىٰ المدينة[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٦).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٦)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٤).

## إرسال البعوث إلى المرتدين شعبان سنة ١١هـ (تشرين الأول أكتوبر سنة ٦٣٢ م)[(١)]:

لما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءتهم صدقات كثيرة تفضل عنهم نظم أبو بكر البعوث، وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء، وفيما يلي أسماء القواد ووجهتهم:

١- خالد بن الوليد: سار إلىٰ طليحة بن خويلد الأسدي فإذا فرغ منه سار إلىٰ مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له.

٢- عكرمة بن أبي جهل: إلىٰ مسيلمة.

٣- المهاجر بن أبي أمية: إلىٰ جنود العنسي ومعونة الأبناء علىٰ قيس بن المكشوح ثم يمضي إلىٰ كندة بحضرموت.

٤- خالد بن سعيد: إلأىٰ مشارف الشام.

٥- عمرو بن العاص: إلىٰ قضاعة ووديعة.

٦- حذيفة بن محصن الغلفاني: إلىٰ أهل جبا.

٧- عرفجة بن هرثمة: إلىٰ مهرة.

٨- شرحبيل بن حسنة: في أثر عكرمة بن أبي جهل فإذا فرغ من اليمامة لحق بخيله إلىٰ قضاعة.

٩- معن بن حاجز: إلىٰ بني سليم ومن معهم من هوازن

١٠- سويد بن مقرن: إلىٰ تهامة باليمن

١١- العلاء بن الحضرمي: إلىٰ البحرين.

هؤلاء هم القواد الذي اختارهم أبو بكر لقتال أهل الردة، وعقد لكل واحد

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٧)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٥).

منهم لواء ومن هذا يتبين أنهم أرسلوا إلىٰ جميع العرب الذين كانوا قد ارتدوا، فما أصعب مهمة أبي بكر ومهمة قواده الذين كلفوا بإخضاع المرتدين وإعادتهم إلىٰ لواء الإسلام، ولم يبق بالمدينة غير قوة صغيرة، وبقي أبو بكر في المدينة ولم يبعث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والزبير مع كفايتهم الحربية، بل أبقاهم معه لاستشارتهم.

فصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا علىٰ قصدهم فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلىٰ من بعث إليه من جميع المرتدين.

وهذا نص الكتاب الذي أرسله أبو بكر إلىٰ المرتدين من العرب وأعطىٰ كل أمير نسخة منه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي بكر حليفة رسول الله ﷺ إلىٰ من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام علىٰ إسلامه أو رجع عنه، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ولم يرجع بعد الهدىٰ إلىٰ الضلالة والعمىٰ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به ونكفر من أبىٰ ونجاهده[(١)].

أما بعد، فإن الله أرسل محمدًا بالحق من عنده إلىٰ خلقه بشيرًا ونذيرًا وداعيا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا لينذر من كان حيًا ويحق القول علىٰ الكافرين، فهدىٰ الله بالحق من أجاب إليه وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتىٰ صار إلىٰ الإسلام طوعا أو كرها، ثم توفىٰ الله رسوله ﷺ وقد نفذ أمر الله ونصح لأمته وقضىٰ الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿وَمَا

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٧)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٥).

جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقال للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوىٰ الله، وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله فإن كل من لم يهده الله ضال وكل من لم يعافه مبتلىٰ، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف:١٧]، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف:٥٠]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦]، وإني بعثت إليكم -فلانًا- في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتىٰ يدعوه إلىٰ داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبىٰ أمرته أن يقاتله علىٰ ذلك ثم لا يبقىٰ علىٰ أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم

وإن أقروا اقبلوا منهم واحملوهم علىٰ ما ينبغي لهم(١).

هذا إعلان عام للمرتدين وقد أمرهم بالخضوع والعودة إلىٰ الإسلام حالا بمجرد الدعوة وإلا كان كل أمير في حل من قتل من أبىٰ وحرقه واستعمال الشدة معه وسبي الذراري(٢) والنساء.

وأعطىٰ لكل قائد عهدا بوصية بما يجب عليه أن يتبعه ويسلكه للقيام بالمهمة التي عهد إليه بها، وهذا نص العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ - لفلان - حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله، سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولىٰ عنه ورجع عن الإسلام إلىٰ أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتىٰ يقروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلىٰ أمر الله ﻷ قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، إنما يقاتل بالمعروف وإنما يقاتل من كفر بالله علىٰ الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فما استيسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمه لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبىٰ قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتىٰ يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتىٰ المسلمون من

---

(١) الرياض النضرة (ص٣٥٣)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٨).

(٢) الذراري: جمع ذرية وهم ولد الرجل.

قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[(١)].

### موقعة بزاخة[(٢)] وفرار طليحة إلى الشام:

وجه أبو بكر خالد بن الوليد لمحاربة طليحة فإذا فرغ من قتاله سار إلىٰ مالك بن نويرة بالبطاح.

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد إلىٰ طيء وأتبعه خالدا وأمره أن يبدأ بطيء ومنهم يسير إلىٰ بزاخة ثم إلىٰ البطاح ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتىٰ يأذن له وأظهر للناس أنه خارج بجيش إلىٰ خيبر حتىٰ يلاقي خالدا وذلك بقصد إرهاب العدو.

قدم عدي بن حاتم إلىٰ طيء كما أمره أبو بكر ليدعوهم إلىٰ الإسلام قبل أن يحاربهم خالد، فلما دعاهم وخوفهم طلبوا إليه أن يتوسط في تأخير الجيش عنهم ثلاثة أيام حتىٰ يتمكنوا من سحب من انضم منهم إلىٰ طليحة بن خويلد الأسدي لئلا يقتلهم، فعاد عدي وأخبر خالدا بالخبر فتأخر وأرسلت طيء إلىٰ إخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم فعادت طيء إلىٰ خالد بإسلامهم.

بعد ذلك هم خالد بالرحيل إلىٰ جديلة فاستمهله عدي أيضًا ريثما يكلمهم، فذهب إليهم يدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يزل بهم حتىٰ أجابوه، فعاد إلىٰ خالد بإسلامهم ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم لأنه كفاهم شر القتال بدخولهم في الإسلام وأفاد جيش المسلمين وأراحهم من قتالهم وأفادهم بما انضم إليهم منهم، وفي الحقيقة فإن الخدمة التي أداها عدي بن حاتم للطرفين جليلة لا تقدر.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٨)، والاستقصا (ص٧٥).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣١٦).

وكان خالد قد أرسل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا ورجعا، فلما أقبل خالد بجيشه رأوا عكاشة وثابتا عكاشة قتيلين فتحرج المسلمون لذلك وقالوا قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم.

سار خالد بجيشه إلىٰ بزاخة والتقىٰ بجيش طليحة فتقاتلوا قتالًا شديدًا وطليحة ملتفف في كسائه يتنبأ لهم، وكان عيينة بن حصن يقاتل مع طليحة في ٧٠٠ من بين فزارة قتالًا شديدًا.

ولما اشتدت الحرب كر عيينة بن محصن علىٰ طليحة وقال له: هل جاءك جبريل؟ قال لا، فرجع فقاتل ثم عاد إلىٰ طليحة فقال له: لا أبالك هل جاءك جبريل؟ قال لا، فقال عيينة حتىٰ متىٰ؟ قد والله بلغ منا، ثم رجع فقاتل قتالا شديدا، ثم كر علىٰ طليحة، فقال هل جاءك جبريل؟ فقال نعم، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحىٰ كرحاه، وحديثا لا تنساه، فقال عيينا قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه، انصرفوا بني فزارة فإنه كذاب فانصرفوا، وانهزم الناس[(١)].

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلة لامرأته النوار فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال:

يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل علىٰ كلب وأسلم حين بلغه أن أسدا وغطفان قد أسلموا ولم يزل مقيما في كلب حتىٰ مات أبو بكر وكان قد خرج معتمرا، ومر بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة فقال: ماذا أصنع به قد أسلم[(٢)]؟.

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧١١)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٠).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦١)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٨)، المنتظم (٤/ ٧٧).

ولما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع أقبل أولئك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا، وقد بايع خالد من خضع وأسلم من القبائل وهذا نص البيعة:

عليكم عهد الله وميثاقه، لتؤمنن بالله ورسوله، ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون علىٰ ذلك أبناءكم ونساءكم.

ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطيء، وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا علىٰ الإسلام في حال ردتهم فأتوا بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم[(١)] بالحجارة ورمىٰ بهم من الجبال ونكسهم في الآبار وأرسل إلىٰ أبي بكر يعلمه ما فعل وأرسل إليه قرة بن هبيرة ونفرا معه وزهيرا موثقين.

أما أم زمل بنت مالك بن حذيفة بن بدر فكانت قد سبيت أيام أمها أم قرفة، فوقعت لعائشة فأعتقتها ورجعت إلىٰ قومها وارتدت، واجتمع إليها الفل[(٢)] فإمرتهم بالقتال، وكثف جمعها، وعظمت شوكتها، فلما بلغ خالدا أمرها سار إليها فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم وهي واقفة علىٰ جمل كان لأمها وهي في مثل عزها فاجتمع علىٰ الجمل فوارس فعقروه وقتلوها، وقتل حول الجمل مائة رجل، وبعث خالد بالفتح إلىٰ أبي بكر[(٣)].

### أسر عيينة بن حصن[(٤)]:

كان خالد بن الوليد أسر عيينة بن حصن فقدم به إلىٰ أبي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك!؟ فيقول: ما آمنت بالله طرفة عين فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه.

---

(١) الرضخ: كسر الرأس.
(٢) الفل: المنهزمون.
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٥)، والبداية والنهاية (٦/ ٣١٩).
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٤).

## مثال من كلام طليحة:

وأخذ من أصحاب طليحة رجلًا كان عالمًا به فسأله خالد عما كان يقول فقال: إن مما أتي به:

والحمام واليمام، والصرد والصوام، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام ولم يبلغ ملك طليحة لا العراق ولا الشام بل هو الذي فر إلىٰ الشام(١).

ويغلب علىٰ ظني أن خالدا لما سمع هذا السجع السخيف لم يتمالك من الضحك مع أن طليحة كان شاعرا.

## هزيمة بني تميم وقصة مالك بن نويرة(٢):

بعد أن أخضع خالد بن الوليد القبائل التي تقطن التلال الواقعة شمالي المدينة سار لقتال بني تميم بهضبة عند الخليج الفارسي وهم قسمان: نصارىٰ وعباد أصنام منتشرون في المراعي الواسعة بين اليمامة ومصب الفرات، وكانوا قد أسلموا في زمن النبي ﷺ كسائر القبائل العربية وفرق فيهم عماله، فكان الزبرقان منهم وسهيل بن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة، ثم ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله ولما تولىٰ أبو بكر الخلافة وانتصر في أول موقعة له سار صفوان بن صفوان إلىٰ أبي بكر بصدقات بني عمرو إلا أنه في هذه الأثناء تشاغلت تميم بعضها ببعض، وبينما هم كذلك جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية قد أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب تقود ربيعة ومعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانيًا فترك دينه وتبعها، كما أن سجاح كانت قد اعتنقت الديانة المسيحية قبل أن تتنبأ

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧١٤).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٥)، البداية والنهاية (٦/ ٣١٩).

ومعها عقة بن هلال في النمر وزياد بن فلان في إياد والسليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم[(١)].

وكانت سجاح تريد غزو المدينة فأرسلت إلىٰ مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها إلا أن قبائل تميم الأخرىٰ أبوا اتباعها، وحاربوها في عدة مواقع فانهزمت هي ومالك، وبعد أن صالحتهم وبادلتهم الأسرىٰ سارت في جنود الجزيرة قاصدة اليمامة وقالت:

عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة[(٢)].

وكانت سجاح تريد مهاجمة مسيلمة، فقصدت بني حنيفة، فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو شغل بها أن يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم علىٰ حجر وهي اليمامة فأهدىٰ لهم ثم أرسل يستأمنها علىٰ نفسه حتىٰ يأتيها فجاءها في أربعين من بني حنيفة، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش.

واجتمع مسيلمة بسجاح وضرب لها قبة وتزوجها وصالحها علىٰ غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك النصف، فأخذت النصف وانصرفت إلىٰ الجزيرة وخلفت الهذيل وعقبة وزيادا لأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فانفضوا، ويلاحظ أن سجاح لم تقم مع زوجها مسيلمة الذي آمنت به، بل تركته وعادت إلىٰ الجزيرة.

أما مالك بن نويرة فإنه ندم علىٰ ما فعل لاتباعه سجاح وتحير في أمره وسار خالد بن الوليد بعد أن فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيء يريد البطاح، وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره، وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا ما هذا

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٤)، المنتظم (٤/ ٢٤).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٩)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٠).

بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتىٰ يكتب إلينا فتركهم خالد ومضىٰ، وندمت الأنصار ولحقوه ثم سار حتىٰ قدم البطاح فلم يجد فيها أحدا، وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع، وكان فيهم أبو قتادة، فشهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا، وقال قوم إنهم لم يفعلوا ذلك، فلما اختلفوا في أمرهم أمر خالد بن الوليد بحبسهم فحبسوا في ليلة باردة وأمر مناديا فنادىٰ أدفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكًا، وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه[١].

## زواج خالد[٢]:

تزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة، ولما وصل الخبر إلىٰ المدينة قال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق[٣] وأكثر عليه في ذلك، فقال يا عم: تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم[٤] سيفًا سله الله علىٰ الكافرين ودىٰ مالكا، وكتب إلىٰ خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهما فقام عمر فنزعها وحطمها، وقال له: قتلت امرأ مسلما ثم نزوت علىٰ امرأته والله لأرجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثله، ودخل علىٰ أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره، وتجاوز عنه وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس، فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة فعرف عمر أن أبا بكر

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٠).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٣)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٢).

(٣) الرهق: الكذب، الحدة.

(٤) أشيم: أغمد.

قد رضي عنه فلم يكلمه، وقدم أخوه متمم بن نويرة علىٰ أبي بكر يطالب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي وودىٰ مالكا من بيت المال، غير أن سير ويليام موير يقول في كتابه «الخلافة» طبعة ١٩٢٤ صفحة ٢٦ إن أبا بكر أمر برد الأسرىٰ لكنه رفض أن يدي مالكا من غير أن يشير إلىٰ المصدر الذي استند إليه في الرفض، وهذا يخالف ما جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وأسد الغابة، فقد ورد في هذه المراجع أن أبا بكر أمر برد السبي وودىٰ مالكا، وقد كانت زوجة مالك بن نويرة غاية الجمال، وكان خالد بن الوليد يحبها فقتل زوجها مالكا ليتزوجها مع أنه أقر بالإسلام، وقال مالك عندما أمر خالد بقتله: إن هذه التي قتلتني يريد زوجته، وهذا الذي استوجب غضب عمر علىٰ خالد، وكان يريد أن يرجمه باعتباره زانيا.

وفي زواج خالد بزوجة مالك بن نويرة يقول أبو نمير السعدي:

ألا أقل لحي أوطئوا بالسنابك[1] تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه بعرسه وكان هوى فيها قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكا في الهوالك

كان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدًا بعدها وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال: فقلنا: إنا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال فوضعوها ثم صلينا وصلوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجعه: ما إخال[2]

(١) السنابك: الحوافر.
(٢) إخال: أظن.

صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا، قال أو ما تعده لك صاحبا؟ ثم قدمه وضرب عنقه وعنق أصحابه.

### موقعة اليمامة آخر سنة ١١هـ وبدء سنة ٦٣٣ م[١]:

كان خالد بن الوليد يحارب المرتدين في اليمامة من أتباع مسيلمة، واليمامة موطن بني حنيفة في وسط شبه جزيرة العرب وفي اتجاه الشرق قليلا، الشرق منها يوالي البحرين وبني تميم، والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز والجنوب نجران، والشمال أرض نجد، وطول اليمامة عشرون مرحلة وهي علىٰ أربعة أيام من مكة، بلاد نخل وزرع.

بلغ عدد جيوش مسيلمة ٤٠٠٠٠ مقاتل وهؤلاء هم الذين سار خالد لمحاربتهم.

كان مسيلمة رجلا صغير الجسم دميم الوجه له كفاءة تؤهله للزعامة، وكان قد قدم إلىٰ النبي ﷺ في وفد بني حنيفة واجتمع برسول الله ﷺ ثم رجع إلىٰ قومه وادعىٰ أنه شريك رسول الله في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة، وكتب مسيلمة إلىٰ رسول الله يذكر أنه شريكه في النبوة وأرسل كتابا مع رسولين فسألهما رسول الله عنه فصدقاه، فقال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، وكان كتاب مسيلمة:

من مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله، أما بعد فإني أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون[٢].

فكتب إليه رسول الله:

**«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب أما بعد فالسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧١٦)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٤٦).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٠٣)، البداية والنهاية (٥/ ٥١)، البدء والتاريخ (٥/ ١٦١)، المنتظم (٤/ ٢٢).

والعاقبة للمتقين»[(١)].

فلما مات رسول الله وبعث أبو بكر السرايا إلىٰ المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلىٰ مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة فاستعجل وانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة إلىٰ أبي بكر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر:

لا أرينك ولا تراني، لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلىٰ حذيفة وعرجفة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسير أنت وجندك لا تستبرئون الناس حتىٰ تلقىٰ بها مهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت[(٢)].

وكتب إلىٰ شرحبيل بالمقام إلىٰ أن يأتي خالد فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه علىٰ قضاعة.

فلما رجع خالد من البطاح إلىٰ أبي بكر واعتذر إليه فقبل عذره وأوعب معه المهاجرين والأنصار، وعلىٰ الأنصار - ثابت بن قيس بن شماس - وعلىٰ المهاجرين - أبو حذيفة وزيد بن الخطاب - وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث إليه، فلما وصلوا إليه سار إلىٰ اليمامة بجيشه لملاقاة العدو.

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء، وخرج إليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأرا لهم في بني عامر - فلم يكن يقصد قتال المسلمين - فأخذه المسلمون وأصحابه وقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بني حنيفة وكانوا ما بين أربعين إلىٰ ستين وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره.

وفي صباح اليوم التالي التقىٰ الجيشان بسهل عقرباء وقال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة فإن انهزمتم تستردف النساء

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٥١)، البدء والتاريخ (٥/ ١٦١)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٠٤)، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٠).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٥).

سبيات وينكحن غير خطيبات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم فاقتتلوا بعقرباء[(١)].

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولىٰ أبي حنيفة، وكانت مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل فقالوا لسالم: نخشىٰ عليك من نفسك فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا[(٢)].

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكان أول من لقي المسلمين نهار الرجال بن عنفوة، فقتله زيد بن الخطاب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلىٰ مجاعة وإلىٰ خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا إلىٰ مجاعة وهو عند زوجة خالد يحرسها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال أنا لها جار فتركوها وقال لهم: عليكم بالرجال فقطعوا الفسطاط وحاق[(٣)] الخطر بالمسلمين في هذه الساعة وأخذ بعضهم يحث علىٰ القتال ويستفز الهمم، فقال ثابت بن قيس:

بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم قاتل حتىٰ قتل.

وقال زيد بن الخطاب:

لا تحوز بعد الرجال، والله لا أتكلم اليوم حتىٰ نهزمهم، أو أقتل فأكلمه بحجتي، غضوا أبصاركم، وعضوا علىٰ أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدما.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٨)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٤).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٢٣٧)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣٧٧)، الإصابة (٣/ ١٥).
(٣) حاق: أحاط، وعاد.

وقال أبو حذيفة:

يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال.

وقد كانت لهذه الكلمات الحماسية أثرها في النفوس فحمل خالد في الناس حتىٰ ردهم إلىٰ أبعد مما كانوا واشتد القتال وقاتل العدو قتال المستميت، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين، وتارة لبني حنيفة، وقتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من كبار المسلمين.

ولما رأىٰ خالد ما الناس فيه واختلاط جيشه، أراد أن يميزهم لتدب فيهم روح الغيرة فقال:

امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتىٰ[(١)].

وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصار، وجنبهم المهاجرين والأنصار، فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يستحىٰ من الفرار فما رئي يوم أعظم نكاية، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرىٰ أكثر منه في البوادي.

وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه، وأدرك خالد أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قتل مسيلمة فحمل عليهم ودعا إلىٰ البراز ونادىٰ بشعار المسلمين يومئذ وكان يا محمداه فلم يبرز إليه أحد إلا قتله، وحمل علىٰ مسيلمة ففر وفر أصحابه، وصاح خالد في الناس فهجموا عليهم فكانت الهزيمة، ونادىٰ المحكم بن الطفيل وهو أحد قواد بني حنيفة المشهورين: يا بني حنيفة الحديقة، الحديقة ثم رماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره فقتله، وكان ممن دخل الحديقة مسيلمة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فتردد المسلمون خوفًا عليه، ثم احتملوه فألقوه، فلما أشرف علىٰ

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨١)، تاريخ خليفة بن خياط (ص١٠٨).

الحديقة من الجدار اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التي كانت مغلقة حتىٰ فتحها للمسلمين فاندفع المسلمون إليها كالسيل الجارف، فأغلق الباب عليهم بعد دخولهم جميعًا، ورمىٰ بالمفتاح من وراء الجدار حتىٰ لا يتمكن أحد من الخروج فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل مسيلمة، قتله وحشي مولىٰ جبير بن مطعم ورجل من الأنصار كلاهما قد أصابه، ووحشي هذا هو قاتل حمزة كما تقدم في السيرة النبوية، فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة وأخذهم السيف من كل جانب حتىٰ قتلوا عن آخرهم وأخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله علىٰ مسيلمة وأخذ يكشف له عن جثث القتلىٰ حتىٰ عثر عليه، فقال مجاعة لخالد: ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهير الناس لفي الحصون، فقال ويلك ما تقول؟ قال: هو والله الحق فهلم لأصالحك عن قومي، وكان خالد نهكته الحرب وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب فقد رق وأحب الدعة والصلح، ثم قال مجاعة: أنطلق إليهم فأشاورهم وننظر في هذا الأمر فأرجع إليك فانطلق ودخل الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان، ومشيخة فانية ورجال ضعفىٰ فظاهر الحديد علىٰ النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن علىٰ رؤوس الحصون حتىٰ يرجع إليهم ثم رجع فأتىٰ فقال: قد أبوا ما صالحتك عليه وقد أشرف لك بعضهم نقضا علي وهم مني براء - فنظر خالد إلىٰ رؤوس الحصون وقد اسودت - ولكن إن شئت صنعت شيئًا فعزمت علىٰ القوم، قال: ما هو؟ قال: تأخذ مني ربع السبي وتدع ربعا، فقال قد فعلت، قال: قد صالحتك[1]. فلما فرغ فتحت الحصون فإذا ليس فبها إلا النساء والصبيان والشيوخ فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني. قال: قومي ولم أستطع إلا ما صنعت.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٣)، تاريخ خليفة بن خياط (ص١٠٨).

وقيل: صالحه خالد علىٰ الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي ولما عرض هذا الصلح عارض قوم من بني حنيفة، ومنهم سلمة بن عمير الحنفي فإنه أبىٰ إلا الحرب وتجنيد أهل القرىٰ والعبيد غير أن مجاعة أصر علىٰ الصلح وكتب خالد كتاب الصلح وهذا نصه:

هذا ما قاضىٰ عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا: قاضاهم علىٰ الصفراء، والبيضاء، ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة علىٰ أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ وذمم المسلمين علىٰ الوفاء(١).

ثم وصل كتاب أبي بكر إلىٰ خالد أن يقتل كل محتلم لكنه وصل متأخرا لأن خالدا كان قد صالحهم فوفىٰ لهم ولم يغدر، والذي أوصل كتاب أبي بكر هو سلمة بن سلامة بن وقش.

وحشرت بنو حنيفة إلىٰ البيعة والبراءة مما كانوا عليه إلىٰ خالد، وخالد في عسكره.

## محاولة اغتيال خالد:

لما اجتمعت بنو حنيفة للبيعة، قال سلمة بن عمير لمجاعة استأذن لي علىٰ خالد أكلمه في حاجة له عندي ونصيحة، وقد أراد أن يفتك به فأذن له، فأقبل سلمة بن عمير مشتملا علىٰ السيف يريد ما يريد، فقال خالد: من هذا المقبل؟ قال مجاعة: هذا الذي كلمتك فيه وقد أذنت له، قال: أخرجوه عني، فأخرجوه عنه ففتشوه فوجدوا معه السيف فلعنوه وشتموه وأوثقوه وقالوا: لقد أردت أن تهلك قومك، وايم الله ما أردت إلا تستأصل بنو حنيفة، وتسبىٰ الذرية والنساء،

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٤).

وايم الله لو أن خالدا علم أنك حملت السلاح لقتلك وما نأمنه إن بلغه أن يقتل الرجال ويسبي النساء بما فعلت فأوثقوه وجعلوه في الحصن وتتابع بنو حنيفة علىٰ البراء مما كانوا عليه وعلىٰ الإسلام.

وعاهدهم سلمة علىٰ أن لا يحدث حدثا ويتركوه فأبوا ولم يثقوا بحمقه أن يقبلوا منه عهدا، فأفلت ليلا فعمد إلىٰ عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفة فأتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط، فشد عليهم بالسيف، فاكتنفوه بالحجارة وأجال السيف علىٰ حلقه فقطع أوداجه[١].

## زواج خالد للمرة الثانية[٢]:

تقدم عند ذكر قصة مالك بن نويرة أن خالد بن الوليد تزوج أم تميم امرأة مالك بعد قتله، وأن أبا بكر لما استدعاه إليه عنفه علىٰ ذلك لكنه في هذه المرة أراد أن يتزوج أيضا بابنة مجاعة فعرض عليه ذلك، فقال له مجاعة: مهلًا إنك قاطع ظهري، وظهرك معي عند صاحبك قال: أيها الرجل زوجني فزوجه، فبلغ ذلك أبا بكر، فكتب إليه كتابا شديد اللهجة وهذا ما جاء فيه:

لعمري يا ابن أم خال إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد.

فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسر يعني عمر بن الخطاب.

ثم ذهب وفد من بني حنيفة إلىٰ أبي بكر وقص عليه ما كان من أمر مسيلمة، وسألهم عن بعض أسجاع مسيلمة فقالوا له شيئا منها فقال: ويحكم إن هذا الكلام ما خرج إلا من إل ولا بر فأين يذهب بكم؟

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٤).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٤- ٢٨٥).

خسائر بني حنيفة: قتل بعقرباء ٧٠٠٠، وبالحديقة نحو ٧٠٠٠، وفي الطلب نحو منها، وكانت موقعة عقرباء أعظم مواقع أهل الردة.

خسائر المسلمين: قتل من المهاجرين والأنصار من المدينة ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير المدينة ٣٠٠ أو يزيدون عدا الجرحى[١].

أسماء من قتل باليمامة من مشهوري الصحابة:

- أبو حبة بن غزية الأنصاري.
- أبو دجانة الأنصاري.
- أبو عقيل البلوي.
- أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.
- جنادة بن عبد الله المطلبي القرشي.
- زرارة بن قيس الأنصاري.
- السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي.
- السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه.
- سعد بن جماز الأنصاري.
- سلمة بن مسعود بن سنان الأنصاري.
- شجاع بن وهب الأسدي.
- صفوان بن عمرو.
- ضرار بن الأزور الأسدي.
- الطفيل بن عمرو الدوسي.
- عامر بن ثابت بن سلمة الأنصاري.
- عائذ بن ماعص الأنصاري.

- عباد بن بشر الأنصاري.
- عباد بن الحارث الأنصاري.
- عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.
- عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول.
- عبد الله بن عتيك الأنصاري.
- عبد الله بن مخرمة بن عبد العزىٰ العامري.
- علي بن عبيد الله بن الحارث.
- عمارة بن حزم الأنصاري.
- عمير بن أوس بن عتيك الأنصاري.
- فروة بن النعمان.
- قيس بن الحارث بن عدي الأنصاري.
- مالك بن أمية السلمي.
- مالك بن عمرو السلمي.
- مالك بن أوس بن عتيك الأنصاري.
- مسعود بن سنان الأسود.
- معن بن عدي بن الجد البلوي.
- النعمان بن عصر بن الربيع البلوي.
- هريم بن عبد الله المطلبي القرشي.
- ورقة بن إياس بن عمرو الأنصاري.
- الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد.
- يزيد بن أوس.

- يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت.

### أسجاع[(١)] مسيلمة[(٢)]:

كان مسيلمة يصانع قومه ويلاطفهم مع ادعائه النبوة ليلتفت قومه حوله وليكثر أتباعه وأنصاره، وقد ساعده علىٰ ذلك نهار الرحال بن عنفوة الذي كان قد هاجر إلىٰ النبي ﷺ وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب علىٰ مسيلمة، لكنه ما لبث أن انضم إلىٰ مسيلمة وصدقه في الظاهر. لذلك قيل إنه كان أعظم فتنة علىٰ بني حنيفة من مسيلمة وهو الذي شهد أن محمدا ﷺ شهد لمسيلمة أنه رسول الله، وقد اتفق المؤرخون علىٰ أن مسيلمة ادعىٰ النبوة قبل وفاة رسول الله، هـ غير أن الأستاذ مرجوليث يزعم أنه تنبأ قبل مبعث رسول الل، هـ وهذا من الغرابة بمكان وليس في التاريخ ما يؤيد زعمه، فما الذي ألجأه إلىٰ ذلك؟ إن السبب الذي دعاه إلىٰ ذلك هو نفس السبب الذي دفعه إلىٰ الاعتراض والطعن في السيرة النبوية لتشويهها إنه يريد أن يفهم القارئ أن رسول الله هو الذي قلد مسيلمة وحذا حذوه فادعىٰ النبوة وهو يعلم حق العلم أن مسيلمة كذاب وأنه مقلد طامع في الملك ولهذا قدم إلىٰ النبي ﷺ في وفد بني حنيفة وسأله أن يشركه معه في النبوة فأبىٰ وحاول أن يضاهي القرآن تغريرًا بعقول السذج من قومه فجاء كلامه سخيفا.

وإنا بعد ذلك نورد من أسجاعه ما عثرنا عليه ليتبين القارئ هذا المتنبئ ومبلغ علمه:

١- والليل الدامس[(٣)] والذئب الهامس[(٤)] ما قطعت أسيد من رطب ولا

(١) أسجاع: من السجع أي: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر في غير وزن.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٦)، البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦)، الطبقات الكبرىٰ (١/ ٣١٧)، الإصابة (٢/ ٥٣٩)، البدء والتاريخ (٥/ ١٦٣).

(٣) الدامس: الشديد الظلمة.

(٤) الهامس: الشديد وسمي بالهامس لأنه يمشي بخفية فلا يسمع صوت وطئة.

يابس[١].

٢- والليل الأطحم[٢] والذئب الأدلم[٣] والجذع الأزلم[٤] مانتهكت أسيد من محرم.

٣- إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ماحيينا بإحسان نمتعهم من كل انسان فإذا متنا فأمرهم إلىٰ الرحمن.

٤- والشاء والوانها وأعجبها السود وألبانها والشاه السوداء واللبن الابيض إنه لعجب محفص وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون.

٥- ياضفدع ابنة ضفدعين مقي ماتنقين أعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين[٥].

٦- والمبذرات زرعًا والحاصدات حصدًا والذاريات قمحًا والطاحنات طحنًا والخابزات خبزًا والثاردات ثردًا واللاقمات لقمًا وإهالة وسمنًا، لقد فضلتم علىٰ أهل الوبر وماسبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والباغي فنائوه[٦].

## أعمال مسيلمة المشؤمة:

لما ادعىٰ مسيلمة النبوة لم يكتف قومه بسماع أسجاعه لتصديقه فيما يدعي ولا سيما أنه كان يبلغهم معجزات النبي التي بهرت ألباب العرب فكانوا يأتون إليه ملتمسين منه المعونة عند الحاجة وليروا قدرته علىٰ إتيان المعجزات كجميع الأنبياء فكان يرىٰ نفسه مضطرًا إلىٰ إجابة مطالبهم وإلا كذبوه وسخروا

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٦)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٦)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٦).
(٢) الأطحم: دفعته الأولىٰ.
(٣) الأدلم: الشديد السواد.
(٤) الأزلم: المقطوع الطرف من الإبل.
(٥) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٥٥٠)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٤).
(٦) المنتظم (٤/ ٢١).

منه وانصرفوا من حوله فحاول أن يظهر لهم بعض أعماله بيد أنه لم يوفق في واحد منها ويا ليته لم يوفق فقط بل كانت تأتي أعمال بعكس المقصود. وهذا خذلان وخزي من الله تعالىٰ ليتجلىٰ للخلق كذبه وشؤمه علىٰ أتباعه.

أتته امرأة فقالت: إن نخلنا لسحق[(١)] وإن آبارنا لجرز[(٢)] فادع الله لمائنا ونخلنا كما دعا محمد ﷺ لأهل هزمان فسأل نهارًا عن ذلك فذكر أن النبي ﷺ دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه في الآبار ففاضت ماء وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلا قصيرا مكمما ففعل مسيلمة مثله فغار ماء الآبار وييبس النخل والعياذ بالله.

وقال له نهار: أمرر يدك علىٰ أولاد بني حنيفة مثل محمد ففعل وأمر يده علىٰ رؤوسهم وحنكهم فقرع كل صبي مسح رأسه ولثغ[(٣)] كل صبي حنكه.

وجاء أبو طلحة النمري فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل في ظلمة فقال: أشهد أنك الكاذب وأن محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[(٤)] فقتل معه يوم عقرباء كافرًا.

وقالوا لمسيلمة تتبع حيطانهم كما كان محمد يصنع فصل بها. فدخل حائطا من حوائط اليمامة فتوضأ فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي به حائطك حتىٰ يروىٰ ويبتل كما صنع بنو المهرية - أهل بيت من بني حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم علىٰ النبي ﷺ فأخذ وضوءه فنقله إلىٰ اليمامة فأفرغه في بئره ثم نزع وسقىٰ وكانت أرضه تهوما فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة ففعل الرجل فعادت يبابا لا ينبت مرعاها.

---

(١) نخل سحق: إذا طالت مع انجراد وبعد ثمرها علىٰ المجتني.
(٢) آبار جزر: لا ماء فيها.
(٣) لثغ: اللثغة: أن تعدل الحرف إلىٰ حرف غيره ولا يبين الكلام.
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٧)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٧).

وأتاه رجل فقال: ادع الله لأرضي فإنها مسبخة كما دعا محمد لسلمىٰ علىٰ أرضه فقال: ما يقول يا نهار فقال: قدم عليه سلمىٰ وكانت أرضه سبخة[(١)] فدعا له وأعطاه سجلا[(٢)] من ماء ومج له فيه فأفرغه في بئره ثم نزع فطابت وعذبت ففعل ذلك فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل سلمىٰ فغرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدرك ثمرها. وأتته امرأة فاستجلبته إلىٰ نخل لها يدعو لها فيها فجذت كبائسها[(٣)] يوم عقرباء كلها.

هذه بعض أعمال مسيلمة المشئومة التي أراد الله - أن يفضحه بها وقد أشرنا إلىٰ أن مستر مرجوليث زعم أن مسيلمة ادعىٰ النبوة قبل النبي ﷺ لكن هناك ما يثبت عكس زعمه فإنه حاول تقليد الإسلام فأخفق فمن ذلك أن عبد الله بن النواحة كان يؤذن له وكان الذي يقيم له حجير بن عمير فيزيد في صوته ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم.

## ردة أهل البحرين سنة ١١هـ (٦٣٢ - ٦٣٣م)[(٤)]:

بينما كان خالد بن الوليد يواصل انتصاراته من شمال شبه الجزيرة العربية إلىٰ وسطها كانت الجيوش التي أرسلها أبو بكر تحارب القبائل المرتدة والثائرة في الجهات الأخرىٰ. وكان المنذر بن ساوىٰ العبدي عاملًا علىٰ البحرين في زمن رسول الله غير أنه مرض فمات بعد النبي ﷺ بقليل فارتد بعده أهل البحرين وارتدت بكر.

وكان الجارود بن المعلىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ في وفد عبد قيس سنة

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٦)، البداية والنهاية (٥/ ٥٢)، الإصابة (٥/ ٤٣٢)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٣)، المنتظم (٤/ ٢٢).
(٢) السجل: الدلو الضخمة.
(٣) الكبائس: عناقيد النحل، والكبيس: نوع من التمور.
(٤) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٠)، تاريخ الطبري (٢/ ١٩٩).

عشر فأسلم وكان نصرانيا ففرح النبي ﷺ بإسلامه فأكرمه وقربه. وبعد أن تفقه في الدين رده إلىٰ قومه عبد القيس، فلما توفي رسول الله بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبيًا لم يمت فجمعهم وقال لهم:

«أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضىٰ؟ قالوا: نعم. قال فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال فإن محمدًا ﷺ قد مات كما ماتوا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». فأسلموا وثبتوا علىٰ إسلامهم[(١)].

وكان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي علىٰ قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة ولحق به أيضا قيس بن عاصم المنقري وانضم إليه عمرو والأبناء وسعد بن تميم والرباب لحقته في مثل عدته فسلك بهم الدهناء حتىٰ كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت إبلهم بأحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله ووصىٰ بعضهم بعضا فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟.

فقالوا: كيف نلام ونحن إن بلغنا غدا لم تحم الشمس حتىٰ نهلك؟.

فقال: لن تراعوا أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تخذلوا.

## كرامة العلاء بن الحضرمي[(٢)]:

كان العلاء بن الحضرمي مجاب الدعوة فلما صلىٰ الجيش صلاة الصبح جثا العلاء لركبتيه وجثا الناس فنصب في الدعاء ونصبوا معه فلمع لهم سراب الشمس فالتفت إلىٰ الصف. فقال رائد ينظر ما هذا ففعل ثم رجع فقال: سراب

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٥)، البداية والنهاية (٢/ ٢٣٢)، الإصابة (١/ ٤٤١).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٧)، شذرات الذهب (١/ ٣٢)، تاريخ الخلفاء (ص٧٦)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٥).

فأقبل علىٰ الدعاء ثم لمع لهم آخر فكذلك ثم لمع لهم آخر. فقال: ماء فقام وقام الناس فمشوا إليه حتىٰ نزلوا إليه فشربوا واغتسلوا فما ارتفع النهار حتىٰ أقبلت الإبل من كل وجه فأناخت وشربت ولم يكن بهذا المكان غدير ولا ماء قبل اليوم ثم ساروا فنزلوا بهجر وأرسل العلاء إلىٰ الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس علىٰ الحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتىٰ نزل عليه فيما يلىٰ هجر.

تجمع المشركون كلهم إلىٰ الحطم بن ربيعة إلا أهل دارين وتجمع المسلمون كلهم إلىٰ العلاء بن الحضرمي[(١)].

## حرب الخنادق:

كان كل فريق متخوفًا من الآخر فخندق المسلمون والمشركون ولبثوا يتراوحون القتال ويراجعون إلىٰ خنادقهم شهرًا.

## جيش العدو يلهو ويسكر:

طال مكث الجيشين في الخندق ففي ذات ليلة سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فأرسل العلاء عبد الله بن حذف ليأتيهم بخبر القوم فعاد وأخبرهم أن القوم سكارىٰ فخرج المسلمون عليهم واقتحموا الخندق ووضعوا السيوف فيهم واستولىٰ المسلمون علىٰ ما في العسكر وقتل الحطم قتله قيس ابن قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التيمي ساقه وقسم العلاء الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا. فأعطىٰ ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحكم يباهي بها وهي التي كانت سببا في قتله[(٢)].

## المسير إلى دارين وكرامة أخرى للعلاء[(٣)]:

ثم قصد معظم الجيش إلىٰ دارين وهي فرضة بالبحرين وإن ما بين الساحل

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٨)، الطبقات الكبرىٰ (٤/ ٣٦٢).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٠).
(٣) حلية الأولياء (١/ ٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٥)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩).

ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات. فركبوا إليها السفن ولحق باقي الجيش ببلاد قومهم فكتب العلاء إلىٰ من ثبت علىٰ إسلامه من بكر وائل يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا وجاءت رسلهم إلىٰ العلاء بذلك فأمر أن يؤتىٰ من وراء ظهره فندب الناس إلىٰ دارين وقال لهم:

قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلىٰ عدوكم واستعرضوا البحر.

وبعد ذلك ارتحلوا واقتحموا البحر علىٰ الخيل والإبل وغير ذلك وفيهم الماشي علىٰ قدميه ودعا ودعوا وهذا دعاؤهم:

يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتىٰ يا حي يا قيوم. لا إله إلا أنت يا ربنا.

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون علىٰ رمل فوقه ماء يغمر أخفاف الإبل[(١)].

### انتصار المسلمين وهزيمة المشركين:

التقىٰ المسلمون والمشركون واقتتلوا قتالًا شديدًا فانتصر المشركون وانهزم المشركون. وأكثر المسلمون القتل فيهم وغنموا وسبوا فبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين وقال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من فلق البحار الأوائل[(٢)]

وجاء في أسد الغابة أن العلاء بن الحضرمي هو من حضرموت حليف حرب بن أمية وقد خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٩).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٠)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩).

### إسلام راهب:

كان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له: ما حملك علىٰ الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها:

١- فيض في الرمال.

٢- تمهيد أثباج البحر[(١)].

٣- دعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا:

اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك والبديع فليس قبلك شئ والدائم غير الغافل الحي الذي لا يموت وخالق ما يرىٰ وما لا يرىٰ وكل يوم أنت في شأن علمت كل شئ بغير تعلم.

فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم علىٰ حق فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد[(٢)] ولم يرو لنا التاريخ اسم هذا الراهب الذي أسلم.

### كتاب العلاء لأبي بكر:

كتب العلاء إلىٰ أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم وهذا نص الكتاب:

أما بعد فإن الله تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار، فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارىٰ فقتلناهم إلا الشريد وقد قتل الله الحطم[(٣)].

فكتب إليه أبو بكر: أما بعد فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام علىٰ ما

---

(١) أثباج البحر: أي: أعاليه أو معظمه.

(٢) المنتظم (٤/ ٨٤).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٧٢٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٩١)، البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩).

بلغك وخاض فيه المرجفون فابعث إليهم جندا فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم فلم يجتمعوا ولم يصر ذلك من إرجافهم إلىٰ شيء.

### ردة أهل عمان ومهرة[١]:

عمان اسم كورة عربية علىٰ ساحل بحر اليمن والهند تشتمل علىٰ بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل. قال الزجاجي سميت عمان بعمان بن إبراهيم الخليل وعمان أرض جبلية يكتنفها الجبل الأخضر وسلسلة جبال أخرىٰ صغيرة بالقرب من ساحل البحر وعاصمتها الآن مسقط علىٰ الخليج الفارسي.

ومهرة. قال صاحب معجم البلدان: بالفتح والسكون هكذا يرويه عامة الناس والصحيح مهرة بالتحريك وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه[٢] هذا ما أثبته ياقوت في معجمه غير أن دائرة المعارف الإسلامية كتبتها بالكون هكذا Mahra وكتاب القرون الوسطىٰ لجامعة كامبردج الجزء الثاني وكان الواجب أن تصحح بالتحريك، Mahara كذلك وقع في نفس هذا الخطأ مستر موير في كتاب الخلافة. وتقع مهرة في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة العرب علىٰ المحيط الهندي بين حضرموت وعمان.

نبغ بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي وكان يسامىٰ في الجاهلية الجلندي وادعىٰ النبوة وغلب علىٰ عمان مرتدًا والتجأ جيفر بن الجلندي رئيس أهل عمان وعباد إلىٰ الجبل والبحر ثم بعث جيفر إلىٰ أبي بكر يطلب منه النجدة فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير وأرسل عرفجة البارقي من الأزد إلىٰ مهرة فإذا قربا من عمان كاتبًا جيفرا فمضيا إلىٰ ما أمرا

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩١).

(٢) معجم البلدان (٥/ ٢٣٤).

به وكان أبو بكر بعث عكرمة إلىٰ مسيلمة باليمامة واتبعه شرحبيل بن حسنة وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة فإذا فرغا منه سارا إلىٰ اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان فلما وصلوا رجاما وهي قريب من عمان كاتبوا جيفرا وعبادًا وبلغ لقيطا مجئ الجيش فجمع جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه فعسكرا بصحار وأرسلا إلىٰ حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما وكاتبوا رؤساء مع لقيط وانفضوا عنه ثم التقوا علىٰ دبا فاقتتلوا قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيه للقيط ورأىٰ المسلمون الخلل والمشركون الظفر وبينما هم كذلك جاءت المسلمين النجدات من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوىٰ الله المسلمين فولىٰ المشركون الأدبار وقتل منهم في المعركة نحو (١٠.٠٠٠) وسبوا الذراري وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلىٰ أبي بكر مع عرفجة وكان الخمس ٨٠٠ رأس، وبقي حذيفة يسكن الناس ويحفظ النظام[(١)].

أما مهرة فإن عكرمة بن أبي جهل سار إليهم بعد أن فرغ من عمان ومعه جيوش من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد فاقتحم بلادهم فوجد جمعين من مهرة أحدهما مع رجل منهم يقال له شخريت والآخر مع مصبح أحد بني محارب ومعظم الناس معه غير أنهما كانا مختلفين فكاتب عكرمة شخريتا قبل أن يحاربه فأجابه وأسلم وانضم اليه ثم كاتب المصبح الذي كان معه معظم الناس فلم يجب اغترارا بكثرة جيشه فسار إليه مع شخريت وحاربه فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وأصاب المسلمون كثيرًا من الغنائم ومما أصابوا (٢٠٠٠) نجيبة وأرسل عكرمة خمس الغنائم إلىٰ أبي بكر مع شخريت واشتدت شوكة عكرمة وأسلم المرتدون[(٢)].

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٢)، البداية والنهاية (٥/ ٢٣٤).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٣)، البداية والنهاية (٦/ ٣٣١).

## ردة اليمـــن[١]:

اتد قيس بن عبد يغوث بن مكشوح باليمن ثانية لما بلغه وفاة رسول الله مع أنه كان اشترك هو وفيروز وداذويه في قتل الأسود العنسي كما تقدم ذكره فلما ارتد أراد التخلص من فيروز وداذويه فخدعهما ودعاهما إلىٰ طعام صنعه لهما فدخل عليه داذويه فقتله وأما فيروز فلما هم بالدخول سمع امرأتين علىٰ سطحين تتحدثان فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذويه ففر إلىٰ جبل خولان وهم أخوال فيروز فامتنع بهم وكتب إلىٰ أبي بكر يخبره وعمد قيس إلىٰ تفريق الأنباء فلما علم فيروز جد في حربه وأرسل إلىٰ بني عقيل بن ربيعة وإلىٰ عك يستمدهم فمدوه بالرجال فخرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسا بالقرب من صنعاء فاقتتلوا قتالًا شديدًا انهزم قيس وأصحابه. وبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل من مهرة مع جيشه وقدم أيضًا المهاجر بي أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلىٰ نجران فانضم إليه فروة بن مسيك المرادي فأقبل عمرو بن معدي كرب الذي كان قد ارتد حتىٰ دخل علىٰ المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيسا أيضا فأوثقه وسيرهما إلىٰ أبي بكر فقال لقيس:

يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة[٢] من دون المؤمنين فانتفىٰ قيس من أن يكون قارف من داذويه شيئا وكان قتله سرًا فتجافىٰ له عن دمه.

وقال لعمرو بن معدي كرب: أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور. لو نصرت هذا الدين لرفعك الله[٣].

---

(١) المنتظم (٤/ ٨٦).

(٢) الوليجة: البطانة والخاصة.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٩٩).

فقال: لا جرم لأقبلن ولا أعود فخلىٰ أبو بكر سبيله.

ورجعا إلىٰ عشائرهما فسار المهاجر من نجران والتقت الخيول علىٰ أصحاب العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار إلىٰ صنعاء فدخلها وكتب إلىٰ أبي بكر بذلك.

## ردة حضرموت وكندة[(١)]:

حضرموت صقع ببلاد العرب قيل: سمي بحضرموت بن قحطان لأنه أول من نزله وكان اسم هذا الرجل عامرًا فكان إذا حضر حربا أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره حضرموت ثم جرىٰ ذلك عليه لقبا وسكنوا الضاد للتخفيف وجعلوا الاسم مركبا مزجيا علىٰ الأشهر ثم صاروا يقولون للأرض التي كانت بها هذه القبيلة حضرموت ثم أطلق علىٰ البلاد نفسها.

تحد حضرموت غربًا باليمن وشرقًا بعمان وشمالًا بالدهناء وقال ياقوت وهي ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف[(٢)].

كان الأشعث بن قيس قدم علىٰ النبي ﷺ في وفد كندة من حضرموت فأسلموا وسألوا أن يبعث عليهم رجلا يعلمهم السنن ويجبي صدقاتهم فأنفذ معهم زياد بن لبيد البياضي عاملا للنبي ﷺ يجبيهم فلما مات رسول الله نكص الأشعث عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ونهاه ابن امرئ القيس بن عابس فلم ينته فكتب زيا د إلىٰ أبي بكر بذلك فكتب أبو بكر إلىٰ المهاجر بن أبي أمية وكان علىٰ صنعاء بعد قتل العنسي أن يمد زيادا بنفسه ويعينه علىٰ المرتدين بمن عنده من المسلمين. فجمع زياد جموعه وأوقع بمخاليفه فنصره الله عليهم حتىٰ تحصنوا بالنجير[(٣)] بعد أن رموه فحصرهم فيه ثم قدم إليه عكرمة بجيشه فأعيوا عن

(١) تاريخ اليعقوبي (١/ ١٩٥)، البداية والنهاية (٥/ ٣٥٢).
(٢) معجم البلدان (٢/ ٢٧٠).
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٦/ ٢٢)، الكامل (٤/ ٢٢٠).

المقام في الحصن فاجتمعوا إلىٰ الأشعث وسألوه أن يأخذ لهم الأمان فأرسل إلىٰ زياد بن لبيد يسأله الأمان حتىٰ يلقاه ويخاطبه فأمنه فلما اجتمع به سأله أن يؤمن أهل النجير ويصالحهم فامتنع عليه وراده حتىٰ آمن سبعين رجلًا منهم وفيهم أخو قيس وبنو عمه وأهله ونسىٰ نفسه وأن يكون حكمه في الباقي نافذا فخرج سبعون فأراد قتل الأشعث وقال له: أخرجت نفسك من الأمان بتكملة عدد السبعين فسأله أن يحمله إلىٰ أبي بكر ليرىٰ فيه رأيه وفتحوا له حصن النجير وكان فيه كثير فعمد إلىٰ أشرافهم نحو ٧٠٠ رجل فضرب أعناقهم ولام القوم الأشعث وقالوا لزياد: إن الأشعث غدر بنا، أخذ الأمان لنفسه وأهله وماله ولم يأخذ لنا وإنما نزل علىٰ أن يأخذ لنا جميعا. وأبىٰ زياد أن يوارىٰ جثث من قتل وتركهم للسباع وكان هذا أشد علىٰ من بقي من القتل وبعث السبي مع نهيك بن أوس بن خزيمة وكتب إلىٰ أبي بكر: إنا لم نؤمنه إلا علىٰ حكمك وبعث الأشعث في وثاق وماله معه ليرىٰ فيه رأيه فأخذ أبو بكر يقرع الأشعث ويقول له: فعلت فعلت. فقال الأشعث: استبقني لحربك وسأله أن يرد عليه زوجته وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر لما قدم علىٰ رسول الله فزوجه وأخرها إلىٰ أن يقدم الثانية. فحقن أبو بكر دمه بعد أن أسلم أمامه ورد عليه أهله وقال له انطلق فليبلغني عنك خير[(١)].

ولما تزوج الأشعث أم فروة اخترط سيفه[(٢)] ودخل سوق الإبل فجعل لا يرىٰ جملا ولا ناقة إلا عرقبه وصاح الناس كفر الأشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته ولو كان ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه. يا أهل المدينة انحروا وكلوا. ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها. فما رؤيت وليمة مثلها[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٠٤).

(٢) اخترط السيف: سله من غمده.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩)، الإصابة (١/ ٨٨).

## مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة سنة ١٢هـ - ٦٣٣ م[١]:

كان المثنىٰ بن حارثة الشيباني ممن حارب وانتصر في البحرين فاستأذن أبا بكر أن يغزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد فتقدم نحو الخليج الفارسي وأخضع القطيف ثم قاد جيشه إلىٰ دلتا الفرات وبلغ عد جيشه ٨٠٠٠ مقاتل لكنه وجد مقاومة من جيش العدو فأرسل أبو بكر إلىٰ خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلىٰ العراق. وقد أخمدت الثورة في جميع العرب في أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية فاهتم أبو بكر بتوجيه الجنود إلىٰ جهات أخرىٰ فأرسل جيشين إلىٰ الشمال وأمر علىٰ أحدهما خالدا ومعه المثنىٰ للزحف نحو الأبلة ثم الزحف نحو الحيرة وأمر علىٰ الجيش الثاني عياضا ووجهه إلىٰ دومة بين الخليج الفارسي وخليج العقبة ثم بالمسير إلىٰ الحيرة أيضا فإذا سبق أحدهما الآخر كان أميرا علىٰ صاحبه. أما عياض الذي كانت وجهته دومة فقد عوقه العدو مدة طويلة وأما خالد فإنه لم يلق مقاومة في طريقه إلىٰ العراق كما لقي عياض وانضم إليه عدد كبير من البدو فتقوىٰ بهم وكثر جيشه حتىٰ صار عدده ١٠.٠٠٠ مقاتل عدا جيش المثنىٰ البالغ عدده ٨٠.٠٠٠ وكان الجميع تحت قيادة خالد[٢]، فكان أول من لاقاه هرمز وكان العرب يبغضونه لظلمه ويضربونه مثلا فيقولون: أكفر من هرمز فكتب إليه خالد قبل خروجه:

أما بعد، فأسلم تسلم أو أعقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

وقد جعل هرمز علىٰ مقدمته قباذ وأنو شجان وكانا من أولاد أردشير الأكبر فسمع بهم خالد فمال بالناس إلىٰ كاظمة فسبقه هرمز إليها فقدم خالد فنزل علىٰ

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧٣٦)، تاريخ الطبري (١/ ٣٣٢).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٠٩).

غير ماء. فقال له أصحابه في ذلك: ما نفعل؟ فقال لهم: لعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين وتقدم خالد إلىٰ الفرس وأرسل الله سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم.

## موقعة ذات السلاسل[١]:

خرج هرمز ودعا خالدا إلىٰ البراز وأوطأ أصحابه علىٰ الغدر بخالد فبرز إليه خالد ومشىٰ نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله وانهزم الفرس بعد أن قتل منهم عدد عظيم وسميت الموقعة ذات السلاسل لأن فريقا من جند الفرس قد قرنهم هرمز بالسلاسل خوفا من فرارهم. ونجا قباذ وأنوشجان وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمئة ألف لأنه كان قد تم شرفه في الفرس وكانت هذه عاداتهم إذا تم شرف الإنسان تكون قلنسوته بمائة ألف وكانت القلنسوة مفصصة بالجواهر وبعث خالد بالفتح والأخماس إلىٰ أبي بكر ومما غنمه المسلمون في ميدان القتال فيل فأرسل إلىٰ المدينة مع الغنائم. فلما طيف به ليراه الناس جعل ضعيفات النساء يقلن أمن خلق الله هذا؟ فرده أبو بكر.

## حصن المرأة وحصن الرجل[٢]:

ثم صار خالد حتىٰ نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة وخرج المثنىٰ بن حارثة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ حصن المرأة فخلف المثنىٰ بن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضىٰ المثنىٰ إلىٰ زوجها وهو في حصنه المسمىٰ حصن الرجل فحاصره واستنزلهم عنوة[٣] فقتلهم وغنم أموالهم. ولما بلغ المرأة ذلك صالحت المثنىٰ

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٠)، البداية والنهاية (٦/ ٣٤٤).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣١١)، البداية والنهاية (٦/ ٣٤٥)، البدء والتاريخ (٥/ ١٦٦)، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٣).

(٣) عنوة: قهرًا وقسرًا

وأسلمت فتزوجها المثنىٰ وكان هذا الحصن قصرا واسم المرأة كما جاء في البلاذري كامور زاد بنت نرسي لأن أبا موسىٰ الأشعري قد نزل بها فزودته خبيصا فجعل يكثر أن يقول أطعمونا من خبيص المرأة فغلب علىٰ اسمها.

وقد نال كل فارس في يوم ذات السلاسل ١٠٠٠ درهم والراجل الثلث.

## انهزام الفرس ثانيًا موقعة الثنى صفر سنة ١٢هـ - سنة ٦٣٣م[١]:

لما وصل خبر انهزام هرمز إلىٰ المدائن عاصمة الفرس أرسل ملكهم أردشير جيشا آخر وأمر عليه قارن بن قريانس. فلما انتهىٰ إلىٰ المذار انضم إلىٰ الجيش المنهزم ورجعوا ومعهم قباذ وأنو شجان ونزلوا الثنىٰ وهو نهر متفرع من الدجلة والتقوا بالمثنىٰ الذي كان قد توقف عند الثنىٰ فأحدق الخطر بالمثنىٰ فوافاه خالد والتقوا في الوقت المناسب ودارت رحىٰ القتال بينهم وانتهىٰ الأمر بفرار الفرس وقتل مهم نحو ٣٠٠٠٠ سوىٰ من غرق وفر من نجا منهم بالقوارب. وقد كان النهر عائقا في سبيا اقتفاء أثر العدو غير أن الغنائم كانت عظيمة وقتل كل رجل قادر علىٰ الحرب وأسر النساء وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة وصارت أرضهم لهم وكان في السبي أبو الحسن البصري وكان نصرانيًا وأمر علىٰ الجند سعيد بن نعمان وعلىٰ الجزية سويد بن مقرن المزني.

أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الذي أرسله أردشير لإمداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشىٰ بن النباش وقتل عاصم أنو شجان وقتل عدي بن حاتم قباذ وكان قارن قد تم شرفه ولم يقاتل المسلمون بعده أحدا تم شرفه في الأعاجم. وزاد سهم الفارس يوم الثنىٰ علىٰ سهمه في ذات السلاسل.

## موقعة الولجة شهر صفر سنة ١٢هـ - إبريل سنة ٦٣٣ م[٢]:

اضطرب البلاط الملكي في فارس من جراء انتصارات العرب وتحدثوا

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٢)، البداية والنهاية (٣٤٤).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٢)، البداية والنهاية (٦/ ٣٤٥)، والمنتظم (٤/ ١٠٢).

فيما بينهم بأنه يجب محاربة العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية. فجند الملك جيشا عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرىٰ الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعىٰ الأندرزغر وكان فارسيا من مولدي السواد. وأرسل بهمن جاذويه في أثره ليقود جيوش الملك وحشر الأندرزغر من بين الحيرة وكسكر ومن عرب الضاحية وتقدمت الجيوش المتحدة نحو الولجة بالقرب من ملتقىٰ النهرين.

أما خالد فقد ترك فرقة لحراسة الأراضي التي غزاها في الدلتا وسار للقاء العدو من الثنىٰ فاشتبك الجيشان في الولجة في قتال طويل عنيف وقد انتصر المسلمون فيه بفضل تدابير قائدهم الذي باغت العدو وأجهده بكمين في ناحيتين وكمين من الخلف وكانت الهزيمة كاملة ففر الفرس وفر العرب الموالون لهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد عظيم ومضىٰ الأندرزغر منهزما فمات عطشا في الفلاة وبذل خالد الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة وسبىٰ الذراري المقاتلة ومن أعانهم.

### خطبة خالد[١]:

قام خالد في الناس خطيبًا يرغبهم في بلاد العجم. ويزهدهم في بلاد العرب وقال:

ألا ترون إلىٰ الطعام كرفغ التراب وبالله لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلىٰ الله آ ولم يكن إلا للمعاش لكان الرأي أن نقارع علىٰ هذا الريف حتىٰ نكون أولىٰ به ونولي الجوع والإقلال ممن تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه.

### موقعة أليس شهر ربيع الأول سنة ١٢هـ - أيار مايو سنة ٦٣٣ م[٢]:

انقسمت قبيلة بني بكر في القتال إلىٰ قسمين قسم مع خالد وقسم مع

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٢).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٣).

الفرس ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من أنصارهم الذين أعانوا أهل الفرس غضب لهم نصارىٰ قومهم فكاتبوا الأعاجم وكاتبهم الاعاجم فاجتمعوا إلىٰ أليس وعليهم عبد الأسود العجلي وكان أشد الناس علىٰ أولئك النصارىٰ مسلمو بني عجل.

كتب أردشير ملك الفرس إلىٰ بهمن جاذويه وهو بقسيانا: أن سر حتىٰ تقدم أليس بجيشك إلىٰ من اجتمع بها من فارس ونصارىٰ العرب فقدم بهمن جاذويه وجابان وسار جابان نحو أليس وهي في منتصف الطريق بين الحيرة والأبلة.

ثم انطلق بهمن إلىٰ أردشير ليعرف رأيه ويتلقىٰ أمره فوجده مريضًا فبقي ملازما البلاط.

أما جابان فإنه مضىٰ حتىٰ أتىٰ أليس فنزل بها. وكان خالد قد بلغه تجمع عبد الأسود ومن معهم فسار إليهم وهو لا يشعر بدنو جابان وترك عند الحفير فرقة قوية لحماية ظهره وبرز أمام الصف ونادىٰ رؤساءهم إلىٰ البراز له فبرز له مالك بن قيس فقال له خالد يا بن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيك وفاء؟ فضربه وقتله، ونشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا قتالًا شديدًا.

## نهر الدم(١):

ولما وجد خالد شدة مقاومة العدو قال:

اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحدًا قدرنا عليه حتىٰ أجري نهرهم بدمائهم.

وأخيرًا لم يستطع الفرس مقاومة المسلمين ففروا منهزمين فأمر خالد مناديه في الناس الأسر، الأسر. لا تقتلوا إلا من امتنع.

فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين يساقون سوقًا وقد وكل بهم رجالًا

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٤)، البداية والنهاية (٦/ ٣٤٦).

يضربون أعناقهم في النهر فجرت الدماء في النهر فسمىٰ لذلك نهر الدم وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعىٰ جندلًا من بني عجل إلىٰ أبي بكر يخبره بفتح أليس وبقدر الفيء وبعدة السبي وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاد من الناس وأمر أبو بكر لجندل بجارية من ذلك السبي. وبلغ قتلىٰ العدو من أليس ٧٠٠٠٠ كما ذكر الطبري وكما جاء في شعر أبي مقرن الأسود بن قرطبة حيث قال:

قتلنا منهم سبعين ألفا ... بقية حربهم نخب الأسار

### موقعة أمغيشيا وهدمها[١]:

لما فرغ خالد من أليس سار إلىٰ أمغيشيا وكانت مصرا كالحيرة فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد وبلغ سهم الفارس ١٥٠٠ سوىٰ الذي نفله أهل البلاء. أرسل إلىٰ أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم. فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد وفي رواية عدا أسدكم علىٰ الأسد فغلبه علىٰ خراذيله أعجزت النساء أن ينسلن[٢] مثل خالد.

### حصار الحيرة وتسليمها ربيع الأول سنة ١٢هـ - أيلول سنة ٦٣٣م[٣]:

سار خالد من أمغيشيا إلىٰ الحيرة وحمل الرجال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة حاكمها الفارسي ويدعىٰ الأزاذبة وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن وذلك بسد الفرات فبقيت السفن علىٰ الأرض فسار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبة فلقيه علىٰ فم فرات بادقلىٰ فقتله وقتل أصحابه غير أن

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٥)، البداية والنهاية (٦/ ٣٤٦)، والمنتظم (٤/ ١٠٣).
(٢) ينسلن: يلدن.
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٦)، المنتظم (٤/ ١٠٣).

المدينة كانت محصنة بأربعة حصون فأبت التسليم فحصرهم وقاتلهم المسلمون فاقتحموا الدور والديورة وأكثروا القتل فنادىٰ القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادىٰ أهل القصور المسلمين. قد قبلنا واحدة من ثلاث: إما الإسلام أو الجزية أو المحاربة.

أما الأزاذبة فإنه هرب إذ بلغه موت أردشير.

وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها:

١- القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصه الطائي وكان ضرار بن الأزور محاصرا له.

٢- قصر الغريين وفيه عدي بن عدي وكان ضرار ابن الخطاب محاصرًا له.

٣- قصر ابن مازن وفيه ابن أكال وكان ضرار بن مقرن المزني محاصرًا له.

٤- قصر ابن بقيله وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيله، وكان المثنىٰ محاصرًا له.

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون إلىٰ خالد فكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح فصالحوه علىٰ ١٩٠٠٠٠ وأهدوا إليه الهدايا وبقوا علىٰ دينهم. وبعث خالد بالفتح والهدايا إلىٰ أبي بكر مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزاء وكتب إلىٰ خالد: أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك.

## محاورة بين خالد بن الوليد وعمرو بن عبد المسيح[(١)]:

لما مثل عمرو بن عبد المسيح أمام خالد قال له خالد:

- كم أتىٰ عليك؟

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣)، تاريخ الطبري (٢/ ٣١٧).

- مئون من السنين

- فما أعجب ما رأيت؟

- رأيت القرىٰ منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفا فتبسم خالد وقال:

- هل لك من شيخك إلا عمله. خرفت والله يا عمرو. ثم أقبل علىٰ أهل الحيرة وقال: ألم يبلغني أنكم خبثة خدعة مكرة فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء؟ فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله ويستدل به علىٰ صحة ما حدث به فقال:

- وحقك أيها الأمير إني لأعرف من أين جئت.

- فقال: من أين جئت.

- فقال عمرو: أقرب أم أبعد؟

- ما شئت.

- من بطن أمي.

- فأين تريد؟

- أمامي.

- وما هو؟

- الآخرة.

- فمن أين أقصىٰ أثرك.

- من صلب أبي.

- ففيم أنت؟

- في ثيابي.

- أتعقل؟

- إي والله وأقيد.

- إنما أسألك.

- فأنا أجيبك.

- أسلم أنت أم حرب؟

- بل سلم.

- فما هذه الحصون؟

- بنيناها للسفيه نحسبه حتىٰ ينهاه الحليم.

- قتلت أرض جاهلها. وقتل أرض عالمها والقوم أعلم بما فيهم.

- فقال عمرو: أيها الأمير النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النمل

## خالد يتناول السم[1] الزعاف[2] فلا يؤثر فيه:

ذكرنا كرامتين للعلاء بن الحضرمي، والآن نذكر كرامة لخالد بن الوليد ولم يكن أحدهما ساحرا ولا كاهنا. بل كان كل منهما بطلا مقداما فقد كان مع عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة خادم معه كيس فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده وقال: لم تستصحب هذا؟ قال: خشيت أن تكون علىٰ غير ما رأيت فكان أحب إلي من مكروه أدخله علىٰ قومي، فقال خالد: لن تموت نفسه حتىٰ تأتي علىٰ أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض ورب السماء الذي لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم فابتلع خالد السم، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم، ما دام أحد منكم هكذا لم يكن لابتلاع السم أي تأثير في خالد

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٤٦).

(٢) الزعاف: القاتل سريع الفتك.

فلم يمرض ولم يمت مع أن عمرو بن عبد المسيح كان قد أعده للانتحار.

وصالح خالد أهل الحيرة ففرضت عليهم الجزية عدا رجال الدين واشتغل المسلمون بحماية المدينة من الهجوم عليها. وكان لعبد المسيح الذي مر ذكره ابنة تدعىٰ كرامة فتمسك خالد بتسليمها إلىٰ شويل لأنه كان رآها شابة فمال إليها فوعده النبي ﷺ ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبي ﷺ أن يسلمها إليه وعلىٰ ذلك سلمها له خالد فاشتد ذلك علىٰ أهل بيتها وقرابتها، فقالت لهم: اصبروا فإنما هذا رجل أحمق. رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم فافتدت منه بألف درهم ورجعت إلىٰ أهلها.

## صلاة الفتح[1]:

لما فتح خالد الحيرة صلىٰ صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن وقال:

لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس.

وبعد أن احتل خالد الحيرة مكث فيها عاما عين عمالا لجباية الخراج وأمراء للثغور وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ ٦٠٠٠٠٠ درهم جزية وهو مبلغ قليل لكنه كان في نظر العرب مبلغا عظيما.

## الفرس وشرب الخمر:

ذكر خالد في كتبه إلىٰ الفرس غير مرة الخمر، فمما جاء في أحد كتبه إليهم: ألا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر[2] وهذا يدل علىٰ أن الخمور كانت منتشرة عندهم، وأنهم كانوا يقبلون علىٰ شربها حتىٰ عني خالد بذكرها.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٩).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٠٨)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٤٣).

### متاعب الفرس الداخلية:

وفي هذه الأثناء كانت الفرس تعاني كثيرًا من المتاعب الداخلية بعد ملكها أردشير وذلك أن شيري بن كسرىٰ قتل كل من كان يناسبه إلىٰ كسرىٰ بن قباذ ولهذا اقتصر همهم علىٰ حماية المدائن عاصمة ملكهم وما جاورها إلىٰ نهر شير الذي هو فرع من نهر الفرات وكان المثنىٰ يهدد هذه الناحية لكنه توقف عن الزحف لأن أبي بكر نهىٰ عن التقدم إلا أن تحمىٰ ظهور المسلمين.

### فتح الأنبار[1] (موقعة ذات العيون):

أنبار هي فيروز سابور القديمة، مدينة شهيرة في العراق من ولاية بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وهي إلىٰ غربيها علىٰ الفرات قرب مخرج نهر عيسىٰ وبابل في شماليها وتبعد عنها نحو ثمانين ميلًا. قيل سميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتبن وأنابير جمع أنبار.

سار خالد علىٰ تعبئته إلىٰ الأنبار وعلىٰ مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم وعلىٰ جنودهم شيرزاد صاحب ساباط وطاف خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصىٰ رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعة «ذات العيون» وتصايح القوم ذهبت عيون أهل الأنبار، فلما رأىٰ ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح علىٰ أمر لم يرضه خالد فرد رسله ونحره من إبل العسكر كل ضعيف وألقىٰ الإبل في أضيق مكان في الخندق حتىٰ ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق فأرسل شيرزاد إلىٰ خالد يطلب منه الصلح علىٰ ما أراد فصالحه علىٰ أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شيئًا من المتاع. وخرج شيرزاد إلىٰ بهمن جاذويه، ثم صالح خالد من حول الأنبار وأهل كلواذىٰ.

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧٤٣)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٢، ٣٢٣)، المنظم (٤/ ١٠٦).

## فتح عين التمر[(١)]:

لما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار إلىٰ عين التمر وهي قلعة علىٰ حدود الصحراء علىٰ مسيرة ثلاثة أيام غربًا وبها مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب وتغلب وإياد وغيرهم فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا قال: صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم فخدعه وارتقىٰ به وقال: إن احتجتم إلينا أعناكم فلامه أصحابه من الفرس علىٰ هذا القول فقال لهم إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم. فإن كانت لهم علىٰ خالد فهي لكم. وإن كانت الأخرىٰ لم يبلغوا منهم حتىٰ يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء فاعترفوا بفضل الرأي، وسار عقة إلىٰ خالد فعبأ خالد جنده وبينما كان عقة يقيم صفوفه حمل عليه خالد بنفسه فاحتضنه وأخذه أسيرا كما احتضن هرمز من قبل في موقعة ذات السلاسل. فانهزم الفرس من غير قتال وأكثر المسلمون فيهم الأسر فسألوه الأمان فأبىٰ فنزلوا علىٰ حكمه فأخذهم أسرىٰ وقتل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبىٰ كل من في الحصن وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل علة مذهب نسطور، وكان عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم بين القواد، وكان منهم أبو زياد مولىٰ ثقيف ونصير أبو موسىٰ بن نصير وأرسل الوليد بن عقبة إلىٰ أبي بكر بالخبر والأخماس.

## موقعة دومة الجندل شهر رجب سنة ١٢هـ - سبتمبر سنة ٦٣٣م[(٢)]:

دومة الجندل مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وهي أقرب بلاد الشام إلىٰ المدينة وبقرب تبوك، وكان رسول الله

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٩)، والمنتظم (٤/ ١٠٧)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٢٤).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٧٤٤)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٤).

ه خرج لغزوها في ربيع الأول سنة خمس (يولية سنة ٢٦٢م) وكانت أول غزوات الشام.

وكان أبو بكر قد أرسل جيشين إلىٰ الشمال وأمر علىٰ أحدهما خالدا، ووجهته نحو الأبلة ثم الزحف علىٰ الحيرة وأمر علىٰ الثاني عياضا ووجهته إليثم المسير إلىٰ الحيرة، فإذا سبق أحدهما الآخر كان أميرا علىٰ الحيرة، إلا أن عياضا الذي كانت وجهته دومة عوقه العدو مدة طويلة ولم يستطع الإنضمام إلىٰ خالد فلما أرسل خالد بن عقبة إلىٰ أبي بكر بخبر، فتح عين التمر اهتم أبو بكر فأرسل الوليد لمساعدة عياض، وكان خالد لما فرغ من عين التمر أتاه كتاب عياض يستمده، فسار خالد إليه تاركا القعقاع علىٰ الحيرة وكان بدومة رئيسان أكيدر بن عبد الملك والجودي بم ربيعة يساعدهما بنو كلب وقبائل أخرىٰ من صحراء الشام.

ولما سمع أكيدر بقدوم خالد تخوف وبادر بالتسليم إلا أن خالدا أسره وضرب عنقه ثم أخذ ما كان معه. ثم هاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة وأخذ الجودي أسيرا فقتله وقتل الأسرىٰ وأخذ حصونهم وسبىٰ الذرية والسرح[(١)] فباعهم واشترىٰ خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة بالجمال وتزوجها في ميدان القتال! ثم رجع إلىٰ الحيرة وكان يريد محاربة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر.

### البعوث إلى العراق شهر شعبان سنة ١٢هـ - أكتوبر سنة ٦٣٣م[(٢)]:

لقد شجع غياب خالد الفرس ومن والاهم من العرب ولا سيما بني تغلب علىٰ مناوشة[(٣)] المسلمين وطمع الأعاجم وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة

---

(١) السرح: الحاشية.

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٧٤٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٥)، المنتظم (٤/ ١٠٨).

(٣) المناوشة: المنازلة.

الذي قتله خالد بعين التمر إلا أن القعقاع استطاع الدفاع عن الأنبار ولما قدم خالد خرج وعلىٰ مقدمته الأقرع بن حابس واستخلف علىٰ الحيرة عياض بن غنم وهاجم الفرس علىٰ الشاطئ الشرقي للفرات فهزمهم وقتل قوادهم وهاجم البدو علىٰ الشاطئ الغربي ليلا وهم نيام فقتلهم وسبىٰ الذرية وأرسل الغنائم إلىٰ المدينة.

### موقعة الفراض[١]:

إنهزام الفرس والروم والبدو شهر ذي القعدة سنة ١٢هـ - كانون الثاني/ يناير سنة ٦٣٤م.

ثم قصد خالد إلىٰ الفراض تخوم[٢] الشام والعراق والجزيرة فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت فيها الغزوات فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليها من مسالح أهل فارس واستمدوا تغلب وإيادا والنمر فأمدوهم وناهضوا خالدا حتىٰ إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم قال خالد: بل اعبروا إلينا قالوا: فتنحوا حتىٰ نعبر فقال خالد: لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل علىٰ دين وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن، ثم لن ينتفعوا بذلك. فعبروا أسفل من خالد. فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتىٰ نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجيء ففعلوا واقتتلوا قتالًا شديدًا طويلًا، ثم إن الله آ هزمهم وقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب (١٠٠٠٠٠) كما رواه الطبري، وأقام خالد علىٰ الفراض بعد الوقعة عشرا ثم أذن بالجوع إلىٰ الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة.

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٧٤٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٨)، المنتظم (٤/ ١١٠).

(٢) تخوم: الفصل بين الأرضين والمعالم والحدود.

قال مستر موير في كتابه الخلافة عند ذكر هذه الموقعة صفحة ٦١ طبعة سنة ١٩٤٢: إن هذا العدد (١٠٠٠٠٠) خرافي ويريد بذلك أنه عدد عظيم غير معقول إلا أن المؤرخين لم يذكروا عدد جيش خالد ولا عدد جيش العدو والذي نعلمه أن جيش العدو كان عظيمًا لأنه كان جيش متحد مؤلف من ثلاثة جيوش: جيش الفرس والروم والعرب الذين انضموا إليهم فإذا كانت الموقعة انتهت بانهزام هذه الجيوش انهزامًا تامًا فلا بد أن يكون عدد القتلىٰ كبيرا فإن لم يكن مئة ألف بالضبط كما رواه الطبري فهو يقرب من ذلك.

قال القعقاع يصف موقعة الفراض:

لقينا بالفراض جموع روم ... وفرس غمها طول السلام
بدنا جمعهم لما التقينا ... وبيتنا بجمع بني رزام
فما فتئت جنود السلم حتى ... رأينا القوم كالغنم السوام

### خالد يحج سرا شهر ذي الحجة سنة ١٢هـ - فبراير سنة ٦٣٤م[(١)]:

لما أيقن خالد من انهزام العدو اشتاق إلىٰ زيارة مكة وإلىٰ تأدية فريضة الحج متخفيا من غير أن يستأذن أبا بكر فأمر جيشه بالعودة إلىٰ الحيرة وتظاهر بأنه سائر في مؤخرة الجيش فبدأ رحلته إلىٰ مكة ومعه عدة من أصحابه لخمس بقين من ذي القعدة ولم يكن معه دليل فاخترق الصحراء مسرعا رغما عن صعوبة الطريق.

ولما أدىٰ فريضة الحج عاد إلىٰ الحيرة في أوائل فصل الربيع فكانت غيبته علىٰ الجند يسيرة فما وصلت إلىٰ الحيرة مؤخرة الجيش حتىٰ وافاهم خالد مع صاحب الساقة فقدما معا وخالد وأصحابه محلقون وقد كان تكتمه شديدا حتىٰ إنهم ظنوا أنه كان في هذه المدة بالفراض ولم يعلم أبو بكر بحج خالد مع أنه كان

(١) المنتظم (٤/ ١١١)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٢٩-٣٤١).

في الحج أيضا غير أنه بعد قليل بلغه الخبر فاستاء جدا وعتب عليه وكانت عقوبته أن صرفه إلىٰ الشام ليمد جموع المسلمين باليرموك فأرسل إليه كتابًا هذا نصه:

سر حتىٰ تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا[(١)] وأشجوا[(٢)] وإياك أن تعود لمثل ما فعلت فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ولم ينزع الشجىٰ من الناس نزعك فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة فأتمم يتمم الله عليك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المن وهو ولي الجزاء.

وفي هذه السنة سنة ١٢ هـ تزوج عمر رضي الله عنه عاتكة بنت زيد وفيها مات أبو مرثد الغنوي وهو أبو مرثد كناز بن الحصين الذي حمل اللواء في بعث حمزة وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة وكان من الأسرىٰ يوم بدر ثم أسلم وهو زوج زينب بنت رسول الله وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين وأوصىٰ إلىٰ الزبير وتزوج علي عليه السلام ابنته أمامة بنت زينب بنت رسول الله وفيها اشترىٰ عمر أسلم مولاه بالناس في هذه السنة أبو بكر واستخلف علىٰ المدينة عثمان بن عفان كما ذكر ذلك الواقدي.

## غزو الشام سنة ١٢ - ١٣هـ - ٦٣٣ - ٦٣٤م[(٣)]:

بعد أن عاد أبو بكر من الحج وجه الجنود إلىٰ الشام تحت قيادة خالد بن سعيد بن العاص، وكان أول لواء عقده إلىٰ الشام، وهو من الذين أسلموا قديما وهاجر إلىٰ الحبشة إلا أن أبا بكر عزله قبل أن يسير وكان سبب عزله أنه تأخر

---

(١) شجوا: جرحوا.
(٢) أشجوا: قهروا وغلبوا.
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣١)، المنتظم (٤/ ١١٦).

عن بيعة أبي بكر شهرين ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال يا أبا الحسن: يا بني عبد مناف أغلبتم عليها؟ فقال علي: أمغالبة ترىٰ أم خلافة؟.

فأما أبو بكر فلم يحقدها عليه وأما عمر فاضطغنها[١] عليه فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتىٰ عزله عن الإمارة وجعله رداء للمسلمين بتيماء[٢] وأمره أن لا يفارقها إلا بأمره وأن يدعو من حوله من العرب إلا من ارتد وأن لا يقاتل من قاتله فاجتمع إليه جموع كثيرة من الروم وعلىٰ ذلك أمره أبو بكر بالإقدام بحيث لا يؤتىٰ من خلفه فتقدم شمالا نحو البحر الميت فسار إليه بطريق الروم، ويدعىٰ باهان ولما وجد أنه تقدم كثيرا كتب إلىٰ أبي بكر يستمده.

وكان قد قدم إلىٰ أبي بكر بالمدينة جيوش المسلمين من اليمن بعد أن هزموا المرتدين وكانوا علىٰ استعداد للحرب في جهات أخرىٰ فأرسل أبو بكر عكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة لإمداد خالد في الشمال.

أسرع خالد بن سعيد في أوائل فصل الربيع للغزو ناسيا ما أمره به أبو بكر من عدم الزحف فوقع في شرك[٣] باهان جهة دمشق وكان قد وصل إلىٰ مرج الصفر[٤] شرقي بحيرة طبرية فأطبق عليه العدو من الخلف ومنعه من التقهقر وقتل ابنه سعيد في المعركة وفر خالد بفلول جيشه إلىٰ المدينة وبقي عكرمة رداء[٥] للجيش بدل خالد فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه وأقام من الشام علىٰ قرب.

ثم أمر أبو بكر يزيد بن أبي سفيان علىٰ جيش عظيم هو جمهور من انتدب

---

(١) اضطغنها: حقدها.

(٢) تيماء: جنوب شرقي تبوك.

(٣) شرك: كمين.

(٤) مرج الصغر: موضوع معروف ناحية فلسطين.

(٥) رداء: معينا.

إليه فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة وشيعه ماشيا وأوصاه وغيره من الأمراء.

### وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان[1]:

كان مما قاله أبو بكر ليزيد:

إني وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلىٰ عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك فعليك بتقوىٰ الله فإنه يرىٰ من باطنك مثل الذي من ظاهرك وإن أولىٰ الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت علىٰ جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتىٰ يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خيلك ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتىٰ من قبل نفسك واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عنك الأستار وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولىٰ أطول من الأخيرة فإنهما أيسرهما لقربهما من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعًا ولا تغفل عن أهل عسكرك

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٢).

فتفسدهم ولا تتجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول[(١)] فإنه يقر بالفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر فإنه يذكر فيها واجبات القائد نحو جنده ونحو عدوه ومنع تعرض القائد للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع احتراما لدينهم.

وقد انقسم الجيش إلىٰ ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ٥٠٠٠ مقاتل وأمر علىٰ اثنين منهما شرحبيل بن حسنة الذي كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلىٰ أبي بكر وعلىٰ الثالث عمرو بن العاص وعين لكل جيش وجهته في الشام فوجه عمرا إلىٰ أيلة علىٰ رأس خليج العقبة، ومن ثم لغزو جنوب الشام أو فلسطين ووجه يزيد وشرحبيل إلىٰ تبوك ثم غزوا أوساط الشام، وحمل معاوية بن أبي سفيان لواء أخيه يزيد وانضم خالد بن سعيد متطوعا إلىٰ جيش شرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة في شهر صفر سنة ١٣هـ - نيسان إبريل سنة ٦٣٤ م، ثم لما وصلت الجيوش الأخرىٰ إلىٰ المدينة أرسلهم أبو بكر لإمداد جيوش الشام وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، وعلىٰ ذلك كان عدد الجيوش التي أرسلت أربعة وكان أبو عبيدة أميرا عليهم جميعا وبلغ عدد الجيش الزاحف ٢٤٠٠٠ بما في ذلك جيش عكرمة، وخرج نحو ألف من الصحابة في جيش الشام ومن بينهم ١٠٠ ممن شهدوا موقعة بدر بخلاف جيش العراق فإن المهاجرين لم يقاتلوا فيه.

سار أبو عبيدة علىٰ باب من البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام.

---

(١) الغلول: الخيانة في المغنم.

## الظروف الملائمة لفتح الشام:

كان امبراطور الروم يبعث إلىٰ القبائل العربية في جنوبي فلسطين إعانة مالية سنوية غير أنه اضطر بسبب ما أنفقه علىٰ الجيش في محاربة الفرس إلىٰ قطع الإعانة عنهم مراعيًا في ذلك الاقتصاد في النفقات وعلىٰ ذلك اعتبرت هذه القبائل أنفسها أحرارًا غير مقيدين بمحالفتهم الروم فانضموا إلىٰ المسلمين، ثم إن أهل الشام أيضًا أرهقتهم زيادة الضرائب فضلًا عما كانوا يلاقونه من الاضطهادات الدينية ولذلك لم يحركوا ساكنا وقد كانوا يفضلون حكم العرب لحسن معاملتهم وعدلهم في أحكامهم كل هذه كانت ظروفًا ملائمة للمسلمين المهاجمين.

## استعداد هرقل[(١)]:

وصل أمراء المسلمين إلىٰ الشام فأخذ عمرو طريق المعرقة ونزل بالعربة وهي واد بين البحر الميت وخليج العقبة ونزل أبو عبيدة الجابية ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل الأردن وقيل بصرىٰ. فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلىٰ هرقل وكان في القدس فقال: أرىٰ أن تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم علىٰ نصف ما يحصل من الشام ويبقوا لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم علىٰ الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم إلىٰ حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من جنوده لكثرة عسكره لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها فأرسل إلىٰ عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه فخرج نحوهم في ٩٠٠٠٠ وبعث من يسوقهم حتىٰ نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلىٰ فلسطين، وبعث جرجة بن توذار نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفبقار بن نسطوس في ٦٠٠٠٠ نحو أبي عبيدة فهابهم

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٤)، المنتظم (٤/ ١١٧).

المسلمون وكاتبوا عمرا أن ما الرأي؟ فأجابهم: أن الرأي لمثلنا الاجتماع فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا يغلب من قلة فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها لكثرة عدونا، وكتبوا إلىٰ أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو، وقال: إن مثلكم لا يؤتىٰ من قلة إنما يؤتىٰ العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

وكان جميع فرق المسلمين ٢١٠٠٠سوىٰ عكرمة في ٦٠٠٠، وبلغ ذلك هرقل فكتب إلىٰ بطارقته أن اجتمعوا لهم، واجتمع المسلمون باليرموك كما أمرهم أبو بكر واجتمع الروم هناك أيضًا وعليهم التذارق وعلىٰ المقدمة جرجة وعلىٰ مجنبتيه الدراقص وباهان ولم يكن قد وصل بعد إليهم وعلىٰ الحرب الفيقار فنزلوا الواقوصة وهي علىٰ ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به فنزلوا عليهم بحذائهم[(١)] علىٰ طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير[(٢)] وأقاموا صفرا وشهري ربيع لا يقدرون منهم علىٰ شيء من الوادي والخندق ولا يخرج عليهم الروم إلا ردهم المسلمون، وكان قتال المسلمين لهم علىٰ تساند أمير علىٰ أصحابه لا يجمعهم أحد حتىٰ قدم خالد بن الوليد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم.

## مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام[(٣)] (موقعة اليرموك):

كان اهتمام أبي بكر الصديق بغزو الشام أشد من اهتمامه بالعراق، لذلك عول علىٰ استدعاء خالد بن الوليد وأمره بالمسير وأن يأخذ نصف الناس

(١) بحذائهم: بجانبهم.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٦).
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٥)، البداية والنهاية (٧/ ٥٣).

ويستخلف علىٰ النصف الآخر المثنىٰ بن حارثة الشيباني ووعده بأنه إذا انتصر في الشام أعاده إلىٰ العراق، ثم بدأ خالد يختار جيشه فاستأثر خالد بأصحاب النبي ﷺ علىٰ المثنىٰ وترك للمثنىٰ عددهم من أهل القناعة ممن ليس له صحبة، ثم قسم الجند نصفين فقال المثنىٰ: والله لا أقيم علىٰ إنفاذ أمر أبي بكر وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ ، خرج معه ٩٠٠٠ وصاحبه المثنىٰ إلىٰ حدود الصحراء ليودعه.

سار خالد بجيشه فلما وصل إلىٰ قراقر وهو ماء لكلب أغار علىٰ أهلها وأراد أن يسير عنهم مفوزا إلىٰ سوىٰ وهو ماء لبهراء، ثم أتىٰ أراك فصالحوه، ثم أتىٰ تدمر ففتحها صلحا وذلك أنه لما مر بها في طريقه تحصن أهلها منه فأحاط بهم من كل وجه فلم يقدر عليهم، ولما أعجزه الرحيل قال: يا أهل تدمر والله لو كنتم في السحاب لا ستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ثم لأدخلن مدينتكم حتىٰ أقت مقاتليكم وأسبي ذراريكم.

فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه علىٰ ما أدوه له ورضي به، ثم أتىٰ خالد القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتىٰ حوارين، فقاتل أهلها وهزمهم وقتل وسبىٰ وأتىٰ قصم - وهي موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق - فصالحه مشجعة من قضاعة وسار فوصل ثنية العقاب - وهي ثنية مشرفة علىٰ غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق إلىٰ حمص - ناشرا رايته العقاب وهي راية سوداء، ثم سار فأتىٰ مرج راهط فأغار علىٰ غسان في يوم فصحهم فقاتل وأرسل سرية إلىٰ كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلىٰ خالد ثن سار حتىٰ وصل بصرىٰ فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم فكانت بصرىٰ أول مدينة فتحت بالشام علىٰ يد خالد وأهل العراق وبعث بالأخماس إلىٰ أبي بكر ثم سار فطلع علىٰ المسلمين في ربيع الآخر باليرموك فوجدهم

يقاتلون الروم متساندين كل أمير علىٰ جيش: أبو عبيدة علىٰ جيش ويزيد بن أبي سفيان علىٰ جيش وشرحبيل ابن حسنة علىٰ جيش وعمرو بن العاص علىٰ جيش، فقال خالد:

إن هذا اليوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا لله جهادكم وتوجهوا لله تعالىٰ بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده وإن من وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا، فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه هو الرأي من واليكم.

قالوا فما الرأي؟ قال إن الذي أنتم عليه أشد علىٰ المسلمين مما غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، والله فهلموا فلنتعاور[1] الإمارة، فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد حتىٰ يتامر كلكم: ودعوني اليوم عليكم، قالوا: نعم، فأمروه فكان الفتح علىٰ يد خالد، وجاء البريد يومئذ بموت أبي بكر وخلافة عمر وتأمير أبي عبيدة علىٰ الشام كله وعزل خالد، فأخذ الكتاب منه وتركه في كنانته ووكل به من يمنعه أن يخبر الناس بالأمر لئلا يضعفوا إلىٰ أن هزم الله العدو وقتل منهم نحو ١٠٠٠٠٠ ثم دخل علىٰ أبي عبيدة وسلم عليه بالإمارة.

## التحام الجيشين وانتصار المسلمين[2]:

كان عدد المسلمين كما يأتي:

٢١٠٠٠ عدد جيش الأمراء الأربعة.

٦٠٠٠ جيش عكرمة بن أبي جهل.

٩٠٠٠ جيش خالد بن الوليد.

---

(١) فلنتعارو: فلنتعاون.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ٧).

٣٠٠٠ فلول جيش خالد بن سعيد.

٣٩٠٠٠ مجموع جيوش المسلمين وقيل ٤٠٠٠٠

جيش الروم:

٨٠٠٠٠ مقيد.

٤٠٠٠٠ مسلسل للموت.

٤٠٠٠٠ مربوطين بالعمائم لئلا يفروا.

٢٤٠٠٠٠

ولم يعرف عدد الفرسان في الجيشين.

عبأ خالد جيشه وقسمه إلىٰ أربعين كردوسا وجعل علىٰ كل كردوس رجلا من الشجعان وجعله علىٰ ثلاث فرق قلب وميمنة وميسرة:

١- أبو عبيدة علىٰ كراديس القلب.

٢- عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة علىٰ كراديس الميمنة.

٣- يزيد بن أبي سفيان علىٰ كراديس الميسرة.

وجعل علىٰ الطلائع قباث بن أشيم وعلىٰ الأقباض عبد الله ببن مسعود، وكان أبو سفيان يسير فيقف علىٰ الكراديس فيقول:

الله، الله، إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك علىٰ عبادك.

وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين.

فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر «فرسه» براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفىٰ في مسيره، ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع

وكانا علىٰ مجنبتي القلب فأنشبا القتال وارتجز القعقاع وقال:

يـا ليتنـي ألقـاك فـي الطـراد قبـل اعتـرام[١] الجحفـل[٢] الـوراد
وأنت فـي حلبتـك الـوراد

وقال عكرمة:

قـد علمـت بهكنـة[٣] الجـواري أنـي علـى مكرمـة أحـامي

فنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان ثم أتىٰ البريد كما ذكرنا.

## إسلام جرجة[٤]:

ثم خرج «جرجة» حتىٰ كان بين الصفين ونادىٰ ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فواقفه بين الصفين حتىٰ اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة:

يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع أنشدك بالله هل أنزل الله علىٰ نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله علىٰ قوم إلا هزمتهم؟

قال: لا.

قال: فبم سميت سيف الله؟

قال: إن الله آ بعث فينا نبيه ٥ فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن باعده وكذبه وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا وفهدانا به فتبعناه فقال: أنت سيف من سيوف الله

(١) اعتزام: اشتداد.
(٢) الجحفل: الجيش الكبير.
(٣) بهكنة الجواري: هي الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوه.
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٧)، المنتظم (٤/ ١٢٠).

سله الله علىٰ المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين علىٰ المشركين[(١)].

- صدقني.

ثم أعاد عليه جرجة:

- يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟

- إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله.

- فمن لم يجبكم؟

- فالجزية ونمنعه.

- فإن لم يعطها؟

- نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

- فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلىٰ هذا الأمر اليوم؟

- منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة:

- هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

- نعم وأفضل.

- كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

- إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات، وحق لمن رأىٰ ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٣).

والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

- بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

- بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلىٰ أحد منكم وحشة وإني لو لي ما سألت عنه.

- صدقتني.

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلىٰ فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلىٰ جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه علىٰ خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل علىٰ المسلمين فأزالوا المسلمين عن مواقفهم فركب خالد معه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادىٰ الناس فثابوا وتراجعت الروم علىٰ مواقفهم.

## استمرار القتال[1]:

زحف خالد حتىٰ تصافح الجيشان بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من ارتفاع النهار إلىٰ الغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلىٰ الناس الأولىٰ والعصر إيماء وتضعضع الروم ونهض خالد بالقلب حتىٰ كان بين خيلهم ورجلهم ففر الفرسان إلىٰ الصحراء وبقي المشاة فاقتحم المسلمون خندقهم فهوىٰ فيها المقترنون بالسلاسل والعمائم وغيرهم وقتلوا وقتل الفيقار وأشراف الروم وكان عدد من تهافت في الخندق ١٢٠٠٠٠ منهم ٨٠٠٠٠ مقرن ٤٠٠٠٠ مطلق سوىٰ من قتل في المعركة من الفرسان والمشاة.

ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادىٰ بالرحيل عنها قريبا وجعلها

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٧)، المنتظم (٤/ ١٢٠).

بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميرًا كما أمر علىٰ دمشق.

### قتلى المسلمين:

أصيب من المسلمين ٣٠٠٠ منهم:

عكرمة وابنه عمرو، سلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، أبان بن سعيد وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعد، جندب بن عمرو، الطفيل بن عمرو، طليب بن عمير، هشام بن العاص، عياش بن أبي ربيعة، سعيد بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي، نعيم بن عبد الله النحام العدوي، النصير بن الحارث بن علقمة، أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدري، وأصيبت عين أبي سفيان بن حرب في الموقعة فأخرج السهم من عينه أبو حثمة، وقد قاتل النساء ومنهن جويرية بنت أبي سفيان.

وقال خالد يومئذ:

الحمد لله الذي قضىٰ علىٰ أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر والحمد لله الذي ولىٰ عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه[(١)].

وكان عمر ساخطا علىٰ خالد في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل في حربه ولذا كان أول عمله عزل خالد، وقال لا يلي لي عملًا أبدًا[(٢)]، ثم إن عمر ﵁ لما رأىٰ انتصارات خالد الباهرة وانقياد المسلمين له في جميع الوقائع واستماتتهم بين يديه خشي أن يفتتن الناس به وربما تحدثه نفسه فيشق عصا المسلمين، وروىٰ أن عمر استدعاه بعد عزله إلىٰ المدينة فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة[(٣)] فيك ولكن افتتن بك الناس فخفت أن

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٩).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٦)، البداية والنهاية (٧/ ١٨).
(٣) الريب: الشك.

تفتتن بالناس.

## المثنى بالعراق[1]:

بعد رحيل خالد بن الوليد، النصف الأول من سنة ١٣هـ (آذار مارس - آب أغسطس سنة ٦٣٤م) لم يكن خالد بن الوليد مطمئنا علىٰ حالة العراق بعد أن نقص عدد الجيش فأرسل المرضىٰ والنساء والأطفال إلىٰ بلادهم. وبذل المثنىٰ ما في وسعه بعد رحيل خالد عنه لتقوية ما بينه وبين الفرس من جهة العاصمة وقد تولىٰ أمر الفرس بعد مسير خالد بقليل شهر براز بن أردشير بن شهريار سابور ففكر في طرد المسلمين فجند جيشًا قويًا مؤلفًا من ١٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة هرمز جاذويه وخرج المثنىٰ من الحيرة نحوه وكان عدد جيشه أقل كثيرًا من جيش الفرس وعلىٰ مجنبتيه المعنىٰ ومسعود أخواه فأقام ببابل وأقبل هرمز نحوه.

ولما كان ملك الفرس واثقًا من النصر أرسل إلىٰ المثنىٰ كتابًا قبيحًا قال فيه:

إني بعثت إليكم جندا من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم.

فكتب إليه المثنىٰ:

إنما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك وخير لنا وإما كاذب فأعظم الكاذبين فضيحة عند الله وعند الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم فالحمد لله الذي رد كيدكم إلىٰ رعاة الدجاج والخنازير.

## موقعة بابل صيف سنة ١٣هـ - سنة ٦٣٤ م[2]:

وبعد أن أرسل المثنىٰ هذا الرد إلىٰ شهر براز زحف للقاء هرمز ببابل تاركا

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٤)، البداية والنهاية (٧/ ١٦)، المنتظم (٤/ ١٢٤).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧).

بالحيرة قوة صغيرة فاقتتلوا قتالًا شديدًا وكان علىٰ جيش الفرس فيل كبير يفرق جموع المسلمين فأحاط به المثنىٰ ومعه ناس وتمكنوا من قتله، فانهزم الفرس وتبعهم جيش المثنىٰ إلىٰ أبواب المدائن عاصمة الفرس يقتلونهم، وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتىٰ شهد موقعة بابل فلما آيسته رجع إلىٰ البادية فقال من قصيدة له:

هل حبل خولة بعد البين موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
للأحبة أيام تذكرها ... وللنوى قبل يوم البين تأويل
حلت خويلة في حي عهدتهم ... دون المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنىٰ وقتله الفيل:

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة ... ببابل إذ في فارس ملك بابل

## المثنى يطلب النجدة من أبي بكر(١):

لما انهزم هرمز جاذويه قتل الجند ملكهم شهر براز واختلفت أهل فارس وبقي ما دون دجلة بيد المثنىٰ فاضطر أن يحمي حدودا شاسعة لم تكن جنوده تكفي لحمايتها ثم اجتمعت الفرس علىٰ ابنة كسرىٰ واسمها: دخت زنان لكنها ما لبثت أن خلعت وتولىٰ الملك سابور بن شهر براز إلا أنه قتل وملكت آزرمي دخت وهذا الخلاف والغدر أديا إلىٰ إضعاف السلطة الحاكمة في فارس ولم يكن هناك ما يخشاه المثنىٰ كثيرا ولكنه علىٰ كل حال كان في حاجة إلىٰ حماية الحدود كما قلنا، فكتب إلىٰ أبي بكر يستمده ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت

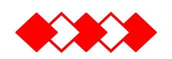
(١) الثقات (٣/ ١٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٨٢)، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٠)، تهذيب الكمال (١٩/ ٢٨٣)، الإكمال للحسنين (١/ ٩١)، الاستيعاب (١/ ١٣٢)، الإصابة (١/ ٤٤)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٧٥).

توبته من المرتدين لأنهم أنشط في القتال من غيرهم، فلما أبطأ خبر أبي بكر علىٰ المثنىٰ استخلف علىٰ المسلمين بشير بن الخصاصية وسار إلىٰ المدينة إلىٰ أبي بكر فلما قدم المدينة وجد أبا بكر مريضا فاستدعىٰ أبو بكر عمر وقال له:

إني لأرجو أن أموت يومي هذا - وذلك يوم الاثنين - وإذا مت فلا تمسين حتىٰ تندب الناس مع المثنىٰ وإن تأخرت إلىٰ الليل فلا تصبحن حتىٰ تندب الناس مع المثنىٰ ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم وقد رأيتني متوفىٰ رسول الله ﷺ وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله، وبالله لو أني أني عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعقبنا فاضطرمت المدينة نارًا وإذا فتح الله علىٰ أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلىٰ العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الدراوة بهم والجراءة عليهم.

وقال عمر متأثرًا برقة كلام أبي بكر وهو علىٰ فراش الموت: قد علم أبو بكر أنه يسوءني أن أؤمر خالدا فلهذا أمرني أن أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم.

ومات أبو بكر ليلًا فدفنه عمر ودعا الناس مع المثنىٰ[1].



(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٥).

# % +

## وفاة الصديق وشئ من فضائله

توفي أبو بكر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان قد سمه اليهود في أرز وقيل في حريرة وهي الحساء فأكل هو والحارث بن كلدة وقال لأبي بكر: أكلنا طعامًا مسمومًا سم سنة فماتا بعده بسنة وقيل: إنه اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يومًا لا يخرج إلىٰ الصلاة فأمر عمر أن يصلي بالناس.

ولما مرض قال له الناس: ألا ندعو الطبيب؟ فقال: أتاني وقال لي: أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وأوصىٰ أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثوب ثالث، وقال: الحي أحوج إلىٰ الجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد، غسلت أبا بكر زوجته أسماء ثم خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين فقالت إني صائمة وهذا يوم شديد البرد فهل علي غسل؟ قالوا: لا، وقد روي أنه اغتسل في يوم بارد فحم فمن ذلك يتبين: أن الجو كان باردا في هذه الأيام فإنه حم بسبب استحمامه في يوم بارد، كذلك غسل في يوم بارد لذلك نرجح أن سبب وفاته: كان تأثره بالبرد لا بسبب السم الذي قيل إن اليهود دسوه له في الحساء لأن حادثة السم المزعومة كانت قبل وفاته بسنة، ودفن ليلة وفاته وصلىٰ عليه عمر بن الخطاب وكبر عليه أربعا في مسجد رسول الله ه بين القبر والمنبر ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفي النبي ه وألصقوا لحده بلحد النبي ه وجعل قبره مثل قبره

مسطحا وناحت عليه عائشة والنساء فنهاهن عن البكاء عمر فأبين فقال لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج علي ابنة أبي قحافة، فأخرج إليه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر فعلاها بالدرة[1] ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك، وكان آخر ما تكلم به: توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين وكانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تمرضه.

### أبو بكر يستشير أصحابه في عمر[2]:

عقد أبو بكر في مرضه الذي توفي فيه لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده ولما أراد العقد له دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال يا خليفة رسول الله: هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقًا ولو أفضىٰ الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقته فرأيتني إذا غضبت علىٰ الرجل في الشيء أراني الرضا عنه وإذا لنت أراني الشدة عليه لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئا، قال: نعم.

ثم دعا عثمان بن عفان فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن عمر، قال: أنت أخبر به، فقال أبو بكر: علي ذلك يا أبا عبد الرحمن، قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر: يا أبا عبد الله لا تذكر مما ذكرت لك شيئا، قال: أفعل، فقال أبو بكر: لو تركته ما عدوتك وما أدري لعله تاركه والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئا ولوددت أني كنت خلوا من أموركم وأني كنت فيمن مضىٰ من سلفكم، يا أبا عبد الله لا تذكر مما قلت لك من أمر عمر ولا مما دعوتك له شيئًا.

ودخل علىٰ أبي بكر طلحة بن عبيد الله، فقال: استخلفت علىٰ الناس عمر

---

(١) الدرة: السوط يضرب به السلطان.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٥)، الرياض النضرة (٢/ ٢٤٢)، تاريخ الخلفاء (ص٨٢)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٩)، المنتظم (٤/ ١٢٥).

وقد رأيت ما يلقىٰ الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك؟ فقال أبو بكر: وكان مضطجعا أجلسوني، فأجلسوه، فقال طلحة: أبالله تفرقني أو بالله تخوفني إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت: استخلفت علىٰ أهلك خير أهلك؟

وأشرف أبو بكر علىٰ الناس من حظيرته وأسماء بنت عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول:

أترضون بمن أستخلف عليكم فإني والله ما ألوت[1] من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا: سمعنا وأطعنا.

قال الواقدي: دعا أبو بكر عثمان خاليا، فقال له أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلىٰ المسلمين، أما بعد ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان: أما بعد فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال:

أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي[2] قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر ﵁ من هذا الموضع[3]، فأبو بكر كان يرىٰ ويعتقد أن عمر بن الخطاب خير من يتولىٰ الخلافة بعده مع شدته، والحقيقة أنه كان كذلك.

## وصية أبي بكر لعمر بن الخطاب[4]:

ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له:

---

(١) ألوت: قصرت.

(٢) غشيتي: أي: إغمائي.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٣)، المنتظم (٤/ ١٢٦).

(٤) الرياض النضرة (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).

إني قد استخلفتك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوىٰ الله ثم قال:

يا عمر إن لله حقا بالليل ولا يقبله بالنهار وحقا بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتىٰ تؤدي الفريضة، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا، ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا، ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء، ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنىٰ فيها علىٰ الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقىٰ فيها بيديه، ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون منهم وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزة[١].

## خطبة علي في تأبين أبي بكر[٢]:

لما سمع علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ خبر وفاة أبي بكر جاء باكيًا مسرعًا مسترجعًا حتىٰ وقف بالباب وهو يقول:

رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاما وأخلقهم إيمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غنىٰ وأحفظهم علىٰ رسول الله ﷺ وأحدبهم[٣] علىٰ الإسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقًا وفضلًا وهديًا وصمتًا فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه

(١) الثقات (٢/ ١٩٣).

(٢) الرياض النضرة (٢/ ٢٤٩).

(٣) أحدبهم: أعطفهم وأشفقهم.

الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر:٣٣] يريد محمدًا ويريدك، كنت والله للإسلام حصنا وللكافرين ناكبا لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا في بدنك قويًّا في دينك متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله جليلًا في الأرض كبيرًا عند المؤمنين لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوىٰ فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتىٰ تأخذ الحق من القوي وتعطيه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك.

## خطبة ابنته عائشة في تأبينه(١):

نضر الله يا أبت وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلًا بإدبارك عنها وللآخرة معزًا بإقبالك عليها ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك(٢) وأكبر الأحداث بعده فقدك إن كتاب الله ﷻ ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض وأنا منتجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ومستعينة كثرة الاستغفار لك فسلم الله عليك توديع غير قالية(٣) لحياتك ولا زارية(٤) علىٰ القضاء فيك.

## اعتراف أبي بكر(٥):

قال أبو بكر: إني لا آسي علىٰ شيء من الدنيا إلا علىٰ ثلاث فعلتهن وددت لو أني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت لو أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ.

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٢٥٣).
(٢) رزؤك: مصيبتك.
(٣) قالية: كارهة.
(٤) زارية: عاتبة، معيبة.
(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٣).

فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه علىٰ الحرب ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمىٰ وأني كنت قتلته سريحا أو خليته نجيحا، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا.

أما اللاتي تركتهن فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرا كنت ضربت عنقه؛ فإنه تخيل إلي أنه لا يرىٰ شرا إلا أعان عليه، ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلىٰ أهل الردة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد أو وددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلىٰ الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلىٰ العراق فكنت بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله ومد يديه.

ووددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منهما شيئا.

## عمل أبي بكر ومنزله مدة خلافته(١):

كان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجرا وكان منزله بالسنح(٢) عند زوجته حبيبة ثم تحول إلىٰ المدينة بعدما بويع له بستة أشهر وكان يغدو علىٰ رجليه إلىٰ المدينة وربما ركب علىٰ فرس وعليه إزار ورداء ممشق فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس فإذا صلىٰ العشاء رجع إلىٰ أهله بالسنح فكان إذا حضر صلىٰ بالناس وإذا لم يحضر صلىٰ بهم عمر بن الخطاب فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر يوم الجمعة

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٤)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٨٦)، المنتظم (٤/ ٧٢).
(٢) السنح: من ضواحي المدينة.

فيجمع الناس وكان رجلا تاجرا فكان يغدو كل يوم إلىٰ السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كفيها فرعيت له وكان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي الآن لا تحلب لنا منائح[(١)] دارنا فسمعها أبو بكر فقال: بلىٰ لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق كنت عليه فكان يحلب لهم.

ثم نظر أبو بكر في أمره فقال: لا والله ما تصلح أمر الناس التجارة وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر وكان الذي فرضوا له في كل سنة ٦٠٠٠ درهم فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئا وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم فدفع ذلك إلىٰ عمر ودفع إليه بعيرًا وعبدًا وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم، فقال عمر: لقد أتعب من بعده.

وحسبوا ما أنفقه علىٰ أهله من بيت المال فوجدوه ٨٠٠٠ درهم في ولايته وكان يوزع الصدقات علىٰ الفقراء وعلىٰ تجهيز الجيوش، كذلك كان يوزع غنائم الحرب علىٰ الناس حال وصولها أو في صباح اليوم التالي ولم يكن له حرس يحرسونه وكان يستشير عمر بن الخطاب.

### بيت مال المسلمين[(٢)]:

كان لأبي بكر الصديق بيت مال بالسنح معروف ليس يحرسه أحد فقيل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل علىٰ بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يخاف عليه، فقيل له: لم؟ قال: عليه قفل، وكان يعطي ما فيه حتىٰ لا يبقىٰ فيه شيء،

(١) المنائح: وهي منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك.
(٢) تاريخ الخلفاء (١/ ٧٩)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢١٣).

فلما تحول أبو بكر إلىٰ المدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها وكان يسوي بين الناس في القسم: الحر والعبد والذكر والأنثىٰ والصغير والكبير فيه سواء.

ولما توفي ودفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت المال ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه دينارًا ولا درهمًا فترحموا علىٰ أبي بكر، وكان بالمدينة وزان علىٰ عهد رسول الله وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مال فسئل الوزان: كم بلغ ذلك المال الذي ورد علىٰ أبي بكر؟ فقال: مائتي ألف.

### حج أبي بكر[١]:

استعمل أبو بكر علىٰ الحج سنة ١١هـ عمر بن الخطاب ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة ١٢هـ ثم رجع إلىٰ المدينة، فلما كان وقت الحج سنة ١٢هـ حج أبو بكر بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف علىٰ المدينة عثمان بن عفان.

### جمع القرآن[٢]:

كان أبو بكر الصديق أعلم الصحابة بالقرآن لأن رسول الله قدمه إمامًا للصلاة بالصحابة مع قوله: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»[٣] وقال: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[٤].

ولما رأىٰ كثرة من قتل من كبارالصحابة باليمامة أمر بجمع القرآن من أفواه

---

(١) تاريخ الخلفاء (١/ ٨٠)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٧٧).

(٢) الرياض النضرة (٢/ ١٧٤)، تاريخ الخلفاء (١/ ٤١)، الكامل (٣/ ٨)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣١)، البداية والنهاية (٦/ ٣٥٣)، المنتظم (٥/ ٢١٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في كتاب «الصحيح» (الحديث: ٢١٣٣)، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب «الصحيح» (الحديث: ١٥٠٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب السنن الحديث (٣٦٧٣).

الرجال وجريد النخل والجلود وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوجة رسول الله ﷺ .

جاء في صحيح البخاري[١] عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني لأخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإني لأرىٰ أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأىٰ عمر، قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] إلىٰ آخرها، فكانت الصحف التي فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله ثم عند عمر حتىٰ توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

## قضاته وكتابه وعماله[٢]:

لما ولي أبو بكر قال أبو عبيدة: أنا أكفيك بيت المال، وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان.

وكان يكتب له علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان فإن

(١) الحديث (٤٤٠٢).
(٢) تاريخ الطبرىٰ (٢/ ٣٥١- ٣٥٢).

غابوا كان يكتب له من حضر.

وكان عامله علىٰ مكة: (عتاب بن أسيد)(١) وقد أسلم عتاب يوم الفتح واستعمله رسول الله علىٰ مكة حين انصرف عنه بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون سنة، قيل: إنه توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر، وكان رجلًا صالحًا فاضلًا.

وكان علىٰ الطائف: (عثمان بن أبي العاص)(٢) استعمله رسول الله علىٰ الطائف وأقره أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، روىٰ له عن رسول الله تسعة أحاديث، روىٰ مسلم ثلاثة منها واستعمله عمر علىٰ عمان والبحرين ثم نزل البصرة، توفي في خلافة معاوية وله عقب كثير أشراف.

وكان علىٰ صنعاء: (المهاجر بن أمية)(٣) وهو أخو أم سلمة أم المؤمنين، وله في قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة مر ذكرها.

وكان علىٰ حضرموت: (زياد بن لبيد الأنصاري)(٤) أقام مع رسول الله بمكة حتىٰ هاجر فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله واستعمله رسول الله علىٰ حضرموت.

وعلىٰ خولان: (يعلىٰ بن أمية)(٥) ويقال له يعلىٰ بن منية وهي أمه أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك مع رسول الله روىٰ له عن رسول الله ٢٨ حديثا، اتفق البخاري ومسلم علىٰ ثلاث منها وقتل بصفين سنة ٣٧ هـ.

وعلىٰ زبيد ورمع: (أبو موسىٰ الأشعري)(٦) قدم علىٰ رسول الله بمكة قبل

(١) معجم الصحابة (٢/ ٢٧٠).
(٢) معجم الصحابة (٢/ ٢٥٦).
(٣) الإصابة (٦/ ٢٢٨).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٥٣٣).
(٥) معجم الصحابة (٣/ ٢١٩).
(٦) الاستيعاب (٤/ ١٧٦٢).

هجرته إلىٰ المدينة فأسلم ثم هاجر إلىٰ الحبشة ثم هاجر إلىٰ رسول الله مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر فأسهم له منها ولم يسهم منها لأحد غاب عن فتحها غيره. وكان حسن الصوت استعمله رسول الله علىٰ زبيد وعدن وساحل اليمن، روي له عن رسول الله ٣٦٠ حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ ٥٠ وانفرد البخاري بخمسة عشر، توفي بمكة وقيل: بالكوفة سنة ٥٠هـ وهو ابن ٦٣ سنة.

وعلىٰ الجند: (معاذ بن جبل)(١) كان معاذًا فقيهًا فاضلًا صالحًا، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة مع السبعين من الأنصار ثم شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله روي له عن رسول الله ١٥٧ حديثًا اتفق البخاري ومسلم علىٰ حديثين منها وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بحديث، توفي في عمواس بالشام سنة ١٨هـ وهو ابن ٣٣ سنة وهو من الأربعة الذين جمعوا القرآن علىٰ عهد رسول الله أرسله رسول الله إلىٰ اليمن يدعوه إلىٰ الإسلام وشرائعه، وهو أحد الذين كانوا يفتون علىٰ عهد رسول الله.

وعلىٰ البحرين: (العلاء بن الحضرمي)(٢) ولاه النبي ﷺ البحرين وتوفي النبي ﷺ وهو عليها فأقره أبو بكر ثم عمر، توفي سنة ١٤ واليا عليها وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالهن، وكان له أثر عظيم في قتال أهل الردة في البحرين كما تقدم.

وبعث (جرير بن عبد الله)(٣) إلىٰ نجران، روي له عن رسول الله ١٠٠ حديث اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ ثمانية وانفرد البخاري بحديث ومسلم بستة، قدم علىٰ النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم.

(١) معجم الصحابة (٢/ ٢٣٤).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٠٦٦).
(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٣٤).

وكان عمر بن الخطاب يقول: جرير يوسف هذه الأمة لحسنه وكان طويلا يصل إلىٰ سنام البعير يخضب لحيته بزعفران بالليل ويغسلها إذا أصبح واعتزل عليا ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتىٰ توفي سنة ٥٤هـ.

وبعث (عبد الله بن ثوب) إلىٰ جرش وهو عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني من كبار التابعين وكان فاضلا ناسكا له فضائل كثيرة أسلم قبل وفاة النبي ﷺ.

بعث الأسود بن قيس بن ذي الخمار الذي تنبأ باليمن إلىٰ أبي مسلم فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فرد ذلك عليه وفي كل مرة يقول مثل قوله الأول فأمر به فألقي في نار عظيمة فلم تضره فقيل له: أنفيه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك، قال: فأمره بالرحيل فأتىٰ المدينة وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ودخل المسجد فقام يصلي إلىٰ سارية وبصر به عمر بن الخطاب فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن.

قال: ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: أنشدك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه عمر وبكىٰ ثم ذهب به حتىٰ أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أراني من أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله ﷺ أسد الغابة.

وبعث (عياض بن غنم)(١) إلىٰ دومة الجندل، أسلم عياض قبل الحديبية وشهدها وكان صالحا فاضلا جوادا، وكان يسمىٰ: زاد الركاب يطعم الناس زاده فإذا نفد الزاد نحر لهم بعيره، توفي بالشام سنة ٢٠هـ وهو ابن ٦٠ سنة.

---

(١) الإصابة (١/ ٤٧٥).

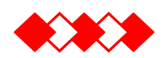
وكان بالشام (أبو عبيدة بن الجراح[(١)] وشرحبيل بن حسنة)[(٢)] أسلم شرحبيل قديما وأخواه لأمه جنادة وجابر، هاجروا إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ وله ٦٧ سنة، أصيب هو وأبو عبيدة رضي الله عنهما في يوم واحد.

وكان بالشام أيضًا عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان، وكان يقال ليزيد يزيد الخير، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا وأعطاه رسول الله ﷺ ١٠٠ بعير وأربعين أوقية يومئذ، فلما استخلف عمر ولاه فلسطين وناحيتها، مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ.

وكان علىٰ العراق المثنىٰ بن حارثة الشيباني.

**خاتم أبي بكر[(٣)]:**

كان نقش خاتمه: نعم القادر الله.



(١) الإصابة (٧/ ٢٦٩).

(٢) معجم الصحابة (١/ ٣٢٩).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص١٠٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٢)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢١١)، المنتظم (٤/ ٥٥).

## الخـلاصـة

١- إن سيرة الخلفاء الراشدين وتاريخهم المجيد من أقوىٰ مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان وتحمل زاد الدعوة، فتشعل أنوار الحق في قلوب الناس حتىٰ لا تنطفئ بريح الهدم التي يوجهها أعداء الأمة ضد دعوتها وتاريخها.

٢- إن المسلمين -بل الإنسانية كلها- أشد ما كانوا اليوم في حاجة إلىٰ معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم، وأثر تربية رسول الله فيهم، وما كانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا بها الجيل المثالي الفذ في تاريخ البشر.

٣- لقد تعرض التاريخ الإسلامي في عمومه وتاريخ صدر الإسلام علىٰ الخصوص للتزوير والتشكيك والتحريف والبتر والزيادة وسوء التأويل، من الروافض والمستشرقين والنصارىٰ واليهود والعلمانيين، ولذلك أصبح من الفروض الكفائية علىٰ الأمة تصحيح الحقائق، فعلىٰ كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع؛ حتىٰ يكون أمام أبناء الأمة مثالًا صالحًا من سلفهم، يقتدون به ويجددون عهده ويصلحون من سيرتهم بالسير علىٰ منهجهم.

٤- إن سيرة الصديق مليئة بالدروس والعبر؛ فهو أعظم شخصية في الإسلام بعد النبي ﷺ، فقد كان هذا الصحابي الجليل قد اتصف بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة منذ الجاهلية، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم أو شرب الخمر.

٥- كان الصديق رضي الله عنه عالمًا بالأنساب، وكانت له مزية حببته إلىٰ قلوب

العرب وهي أنه لم يكن يعيب الأنساب ولا يذكر المثالب، بخلاف غيره، فقد كان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما فيها من خير وشر، وقد اشتهر بالتجارة، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عرف به في الجاهلية.

٦- كان أبو بكر كنزًا من الكنوز ادخره الله تعالىٰ لنبيه، وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله إياه، جعله من الموطئين أكنافًا، من الذين يألفون ويؤلفون.

٧- كان تحرك الصديق ﵁ في الدعوة إلىٰ الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين، والاستجابة لله ورسوله، صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال حتىٰ يحقق في دنيا الناس ما آمن به.

٨- تعرض الصديق للابتلاء؛ فقد أوذي أبو بكر الصديق وحثي علىٰ رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال حتىٰ ما يعرف وجهه من أنفه وحمل إلىٰ بيته.

٩- من صفات الصديق التي تميز بها: الجرأة والشجاعة، فقد كان لا يهاب أحدًا في الحق، ولا تأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له والدفاع عن رسول الله ﷺ.

١٠- ساهم الصديق في سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين، وأصبح هذا المنهج من ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الإسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين، فدعم الدعوة بالمال والرجال والأفراد، فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من المؤمنين والمؤمنات وأعتقهم لوجه الله.

١١- استخدم الصديق ﵁ علم الأنساب كوسيلة من وسائل الدعوة، ولذلك كان مرافقًا لرسول الله ﷺ أثناء دعوته للقبائل في أسواق العرب في المواسم.

١٢- رافق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله في هجرته إلىٰ المدينة، فكان الساعد الأيمن لرسول الله منذ بزوغ الدعوة حتىٰ وفاته ﷺ ، فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوة حكمة وإيمانًا ويقينًا وعزيمة وتقوىٰ وإخلاصًا، فأثمرت هذه الصحبة صلاحًا وصديقية، ذكرًا ويقظة، حبًا وصفاء، عزيمة وتصميمًا، وإخلاصًا وفهمًا، فوقف مواقفه المشهورة بعد وفاة رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، وغيرها من المواقف؛ كبعث جيش أسامة وحروب الردة، فأصلح ما فسد وبنىٰ ما هدم، وجمع ما تفرق، وقوَّم ما انحرف.

١٣- شهد أبو بكر مع النبي ﷺ المشاهد كلها ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي ﷺ رايته العظمىٰ يوم تبوك وكانت سوداء.

١٤- كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر، وتركت لنا نموذجًا حيًّا لفهم الإسلام وتطبيقه في دنيا الناس. وقد تميزت شخصية الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة وبيَّن فضله وتقدمه علىٰ كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

١٥- كان إيمان الصديق بالله عظيمًا، فقد فهم حقيقة الإيمان وتغلغلت كلمة التوحيد في نفسه وقلبه، وانعكست آثارها علىٰ جوارحه، وعاش بتلك الآثار في حياته فتحلىٰ بالأخلاق الرفيعة، وتطهر من الأخلاق الوضيعة، وحرص علىٰ التمسك بشرع الله والاقتداء بهديه ﷺ ، وكان إيمانه بالله باعثًا له علىٰ الحركة والهمة والنشاط والسعي والجهد والمجاهدة والجهاد والتربية والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لا يساويه فيه أحد من الصحابة.

١٦- كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له، وقد اتفق أهل السنة علىٰ أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكىٰ الإجماع علىٰ ذلك غير واحد، وسبب تقدمه

علىٰ كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي ﷺ ؛ فقد كان أدوم اجتماعًا به ليلًا ونهارًا وسفرًا وحضرًا، وكان يسمر عند النبي ﷺ بعد العشاء يتحدث معه في أمور المسلمين، وقد استعمله النبي ﷺ علىٰ أول حجة حجت من مدينة النبي ﷺ ، وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا علمه لم يستخلفه، ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر، وهو أصح ما روي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ما هو متقدم منسوخ، فدل علىٰ أنه أعلم بالسنة الناسخة والمنسوخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصًا، وهذا يدل علىٰ غاية البراعة والعلم.

١٧- لما مات رسول الله ﷺ اضطرب الناس، فثبت الله الأمة بالصديق، فوقف موقفه العظيم وقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وظهر موقفه العظيم في سقيفة بني ساعدة حيث استطاع أن يقنع الأنصار بما رآه وهو الحق، من غير أن يعرض المسلمين للفتنة، فأثنىٰ علىٰ الأنصار ببيان فضلهم من الكتاب والسنة والثناء.

١٨- بايع سعد بن عبادة الصديقَ بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة؛ إذ أنه نزل عن مقامه الأول في دعوىٰ الإمارة وأذعن للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق بالخلافة في اجتماع السقيفة، ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات لا بسيطة ولا خطيرة ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة، كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي بل ازدادت توثقًا، كما يثبت النقل الصحيح.

١٩- وردت أحاديث نبوية شريفة أشارت إلىٰ خلافة الصديق، وأجمع أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا علىٰ أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق، لفضله وسابقته ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات علىٰ

جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفىٰ -عليه الصلاة والسلام- من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا علىٰ تقديمه في الخلافة.

٢٠- الخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعت عليه طريقة وأسلوبًا للحكم، تنظم من خلاله أمورها وترعىٰ مصالحها، وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمة لها واقتناعها بها، ومن ثم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله ﷺ ، فالخلافة هي نظام حكم المسلمين، وقد استمدت أصولها من دستور المسلمين في القرآن الكريم ومن سنة النبي ﷺ ، وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الإسلامية فقالوا بالشورىٰ والبيعة، وهما أصلان قد أشير إليهما في القرآن الكريم.

٢١- تحدث العلامة أبو الحسن الندوي عن شروط خلافة النبي ﷺ ومتطلباتها، وقد أثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبا بكر كان شروط خلافة النبي ﷺ متحققة فيه.

٢٢- بعد البيعة العامة للصديق ألقىٰ خطبة علىٰ الأمة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية علىٰ إيجازها، فقد بيَّن فيها منهجه لقيادة الدولة وقرر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم، وركز علىٰ أن طاعة ولي الأمر مترتبة علىٰ طاعة الله ورسوله، ونص علىٰ الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلىٰ اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد.

٢٣- أراد الصديق رضي الله عنه أن ينفذ السياسة التي رسمها لدولته واتخذ من الصحابة الكرام أعوانًا يساعدونه علىٰ ذلك، فجعل أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة «وزير المالية»، فأسند إليه شئون بيت المال، وتولىٰ عمر بن الخطاب القضاء «وزير العدل»، وباشر الصديق القضاء بنفسه أيضًا، وتولىٰ زيد بن ثابت الكتابة «وزير البريد والمواصلات»، وأحيانًا يكتب له من يكون حاضرًا من

الصحابة كعلي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان رضي الله عنهم. وأطلق المسلمون على الصديق لقب خليفة رسول الله، ورأى الصحابة ضرورة تفريغ الصديق لمنصب الخلافة وتكفلت الأمة بنفقاته الخاصة.

**٢٤-** عاش الصديق بين المسلمين كخليفة لرسول الله، فكان لا يترك فرصة تمر إلا علَّم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على مَنْ حوله مِنَ الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق.

**٢٥-** يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي خاصة امتدادًا للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

**٢٦-** كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة وجباية الصدقات وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي الرسول ﷺ وهم على ولايته، ولم

يعزل أحدًا منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه، كما حدث لعمرو بن العاص، وكانت مسئوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق بالدرجة الأولى امتدادًا لصلاحيتهم في عصر الرسول ﷺ، خصوصا الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ﷺ.

**٢٧-** وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق رضي الله عنهما، وكذلك تأخير الزبير بن العوام، وجل هذه الأخبار ليس بصحيح إلا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن عليًّا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله، فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي

طالب بأمر جهاز رسول الله، من تغسيل وتكفين، وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول، وهو يوم الثلاثاء.

٢٨- عندما سئل الصديق عن ميراث رسول الله، قال للسيدة فاطمة والعباس عم النبي ﷺ: سمعت رسول الله يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال». وفي رواية قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «... لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشىٰ إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ». ومن الثابت تاريخيا أن أبا بكر دام أيام خلافته يعطي أهل البيت حقهم في فيء رسول الله ﷺ في المدينة، ومن أموال فدك وخمس خيبر، إلا أنه لم ينفذ فيهما أحكام الميراث عملا بما سمعه من رسول الله.

٢٩- بيَّن الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خطبته طبيعة خليفة رسول الله ﷺ، وأنه ليس خليفة عن الله بل عن رسول الله ﷺ، وأنه بشر غير معصوم لا يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيقه بنبوته ورسالته، فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع.

٣٠- من الدروس والعِبَر في بعث جيش أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن الأحوال تتغير وتتبدل، والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، والمسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي ﷺ وحدوث الخلاف بين المؤمنين ورده إلىٰ الكتاب والسنة، وجعل الدعوة مقرونة بالعمل، ومكانة الشباب في خدمة الإسلام، وروعة الآداب الإسلامية في الجهاد وتحقيق جيش أسامة لأهدافه، فقد ضعفت جبهة الردة في الشمال وأصبحت من أضعف الجبهات.

٣١- إن الردة التي قامت بها القبائل العربية بعد وفاة رسول الله ﷺ لها أسباب، منها: هول الصدمة بموت رسول الله، ورقة الدين والسقم في فهم نصوصه، والحنين إلىٰ الجاهلية ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام والخروج علىٰ السلطة الشرعية، والعصبية القبلية، والطمع في الملك، والتكسب بالدين،

والشح بالمال، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية؛ كدور اليهود والنصارىٰ والمجوس.

**٣٢-** وأما أصناف الردة: فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلًا وعاد إلىٰ الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعىٰ النبوة، ومنهم من عاد إلىٰ ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة ولكنه امتنع عن أداء الزكاة، ومنهم من شمت بموت الرسول ﷺ وعاد أدراجه يمارس عادات الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر علىٰ من تكون الدبرة، وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير.

**٣٣-** كان موقف الصديق رضي الله عنه من المرتدين لا هوادة فيه ولا مساومة فيه ولا تنازل، يرجع إليه الفضل الأكبر -بعد الله تعالىٰ- في سلامة هذا الدين وبقائه علىٰ نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرىٰ الإسلام عروة عروة موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدىٰ أبو بكر حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلىٰ أن يرث الله الأرض وأهلها.

**٣٤-** إن من الحقائق الأساسية حول هذه الفتنة، أنها لم تكن شاملة لكل الناس كشمولها الجغرافي، بل إن هناك قادة وقبائل وجماعات وأفرادًا تمسكوا بدينهم في كل منطقة.

**٣٥-** في حروب الردة باليمن ظهرت صورتان مختلفتان للنساء؛ صورة المرأة الطاهرة العفيفة التي تقف مع الإسلام وتحارب الرذيلة، وتقف مع المسلمين لكبح جماح شياطين الإنس والجن مثل «آزاد» الفارسية زوج شهر بن باذان وابنة عم فيروز الفارسي. وصورة أخرىٰ كالحة مظلمة، وهي ما قامت به بعض بنات اليمن من يهود ومن لف لفهن في حضرموت، فقد طرن فرحًا بموت رسول الله فأقمن الليالي الحمراء مع المجان والفساق يشجعن علىٰ

الرذيلة ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهن وأتباعه طربًا لنكوص الناس عن الإسلام، والدعوة إلىٰ التمرد عليه وحرب أهله.

٣٦- كان بعض أهل اليمن لهم مواقف عظيمة في الثبات علىٰ الحق والدعوة إلىٰ الإسلام، وتحذير قومهم من خطورة الردة، ومن هؤلاء كان مران بن ذي عمير الهمداني أحد ملوك اليمن وعبد الله بن مالك الأرحبي، وكان من أصحاب النبي ﷺ وشرحبيل بن السمط، وابنه في بني معاوية من كندة.

٣٧- بعد حروب الردة تجمعت اليمن تحت قيادة مركزية عاصمتها المدينة المنورة، وقسم اليمن إلىٰ أقسام إدارية لا وحدات قبلية، فقد قسم إلىٰ ثلاثة أقسام إدارية: صنعاء والجند وحضرموت، ولم تعد العصبية القبلية أساسًا في الزعامة أو في التولية، ولم تعد القبلية سوىٰ وحدة عسكرية لا سياسية، وأصبحت المقاييس المعتبرة هي المقاييس الإيمانية؛ التقوىٰ والإخلاص والعمل الصالح.

٣٨- كان لهزيمة طليحة الأسدي في معركة بزاخة أثر كبير في رجوع كثير من القبائل إلىٰ حظيرة الإسلام، فقد أقبلت بنو عامر بعد هزيمة بزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، فبايعهم خالد علىٰ ما بايع عليه أهل بزاخة من أسد وغطفان وطيء.

٣٩- إن مقتل مالك بن نويرة بسبب كبره وتردده فقد بقي للجاهلية في نفسه نصيب، ولذلك ماطل في التبعية للقائم بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ وفي تأديه حق بيت مال المسلمين عليه المتمثل بالزكاة.

٤٠- قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة وانتهىٰ إلىٰ براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة، فقد كان الصديق في هذا الشأن أكثر اطلاعًا علىٰ حقائق الأمور، وأبعد نظرًا في تصريفها من بقية الصحابة؛ لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار.

٤١- إن من كمال الصديق توليته لخالد واستعانته به؛ لأنه كان شديدًا ليعتدل به أمره ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد ومجرد الشدة يفسد، فكان يقوم باستشارة عمر وباستنابة خالد، وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله.

٤٢- كان للمثنىٰ بن حارثة دور كبير في إخماد فتنة البحرين، والوقوف بقواته بجانب العلاء ابن الحضرمي، وقد سار بجنوده من البحرين شمالًا ووضع يده علىٰ القطيف وهجر حتىٰ بلغ مصب دجلة، وقضىٰ في سيره علىٰ قوات الفرس وعمالهم، وقد كانت أخباره تصل إلىٰ الصديق، وسأل عنه أصحابه فقال له قيس بن عاصم المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد، هذا المثنىٰ بن حارثة الشيباني.

٤٣- تعتبر هزيمة بني حنيفة في اليمامة أمام جيوش خالد قاصمة الظهر لحركة الردة، وكان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن. وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم والمشروع الحضاري الضخم إلىٰ الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

٤٤- تحققت شروط التمكين ولوازمه كلها في عهد الصديق والخلفاء الراشدين من بعده، وكان للصديق الفضل بعد الله في تذكير الأمة بهذه الشروط، ولذلك رفض طلب الأعراب في وضع الزكاة عنهم وأصر علىٰ بعث جيش أسامة، والتزم بالشرع كاملًا ولم يتنازل عن صغيرة ولا كبيرة.

٤٥- كان إعداد الصديق في حروب الردة شاملًا معنويًا وماديًّا؛ فجيَّش الجيوش وعقد الألوية واختار القادة لحروب الردة، وراسل المرتدين وحرض الصحابة علىٰ قتالهم، وجمع السلاح والخيل والإبل وجهز الغزاة، وحارب

البدع والجهل والهوىٰ، وحكَّم الشريعة، وأخذ بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع، وأخذ بمبدأ التفرغ، وساهم في إحياء مبدأ التخصص؛ فخالد لقيادة الجيوش، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، وأبو برزة الأسلمي للمراسلات الحربية. واهتم بالجانب الأمني والإعلامي، وغير ذلك من الأسباب.

٤٦- تظهر آثار تحكيم شرع الله في عصر الصديق في تمكين الله للصحابة؛ فقد حرصوا علىٰ إقامة شعائر الله علىٰ أنفسهم وأهليهم، وأخلصوا الله في تحاكمهم إلىٰ شرعه، فالله - قوَّاهم وشد أزرهم ونصرهم علىٰ المرتدين، ورزقهم الأمن والاستقرار.

٤٧- كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردة إعدادا ربانيا للفتوحات الإسلامية؛ حيث تميزت الرايات وظهرت القدرات وتفجرت الطاقات واكتشفت قيادات ميدانية، وتفنن القادة في الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية التي تقاتل وهي تعلم علىٰ ماذا تقاتل، وتقدم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقًا والتفاني عظيمًا.

٤٨- توحدت شبه الجزيرة العربية بفضل الله ثم جهاد الصحابة مع الصديق تحت راية الإسلام لأول مرة في تاريخها بزوال الرؤوس أو انتظامها ضمن المد الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام (المدينة) هيمنتها علىٰ ربوع الجزيرة، وأصبحت الأمة تسير وراء زعيم واحد بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصارًا للدعوة الإسلامية ولوحدة الأمة بتضامنها وتغلبها علىٰ عوامل التفكك والعصبية، كما كانت برهانًا علىٰ أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق قادرة علىٰ التغلب علىٰ أعنف الأزمات.

٤٩- أثبتت أحداث التاريخ أن أية محاولة للتمرد علىٰ دين الإسلام سواء أقام بها فرد أم جماعة أم دولة إنما هي محاولة يائسة، مآلها الإخفاق الذريع

والخيبة الشنيعة؛ لأن التمرد إنما هو تمرد علىٰ أمر الله المتمثل بكتابه الذي تكفل بحفظه وحفظ جماعة تلتف حوله وتقيمه في نفوسها وواقعها مدىٰ الدهر، وبحكمه القاضي بالعاقبة للمتقين وبالمن علىٰ المستضعفين أن يديل لهم من الظالمين.

**٥٠-** ما إن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميدانًا لها، حتىٰ شرع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله ﷺ، فجيش الجيوش لفتح العراق والشام.

**٥١-** إن الأوامر التي وجهها الصديق إلىٰ قادة فتوح العراق «خالد وعياض» تشير إلىٰ الحس الاستراتيجي المتقدم الذي كان يملكه الصديق رضي الله عنه، فقد أعطىٰ جملة تعليمات عسكرية استراتيجية منها وتكتيكية؛ فحدد لكل من القائدين المسلمين جغرافيا منطقة للدخول إلىٰ العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العمليات بالحجاز، وقد بسطت أمامه خارطة العراق بكل تضاريسها ومسالكها.

**٥٢-** خاض خالد في العراق عدة معارك كانت السبب في فتح العراق؛ كمعركة ذات السلاسل، ومعركة المذار والولجة وأليس وفتح الحيرة والأنبار وعين التمر ودومة الجندل ووقعة الحصيد ووقعة المصيخ ووقعة الفراض.

**٥٣-** عزم الصديق علىٰ فتح الشام فاستشار كبار الصحابة ثم استنفر أهل اليمن للجهاد، وعقد الألوية للقادة وأرسل أربعة جيوش لبلاد الشام، وكان قادة الجيوش كلا من: يزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة.

**٥٤-** كانت الجيوش المكلفة بفتح الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها، فراسلوا الصديق وأعلموه بوضعهم الحرج، فأمر الصديق

الجيوش بالانسحاب إلىٰ اليرموك والتجمع هناك، وأمر خالدًا بالسير بنصف جيش العراق نحو جبهات الشام وأمره بقيادة الجيوش هناك.

٥٥- استطاع خالد بن الوليد أن يحقق انتصارات عظيمة علىٰ جيوش الشام من أهمها: معركة أجنادين واليرموك.

٥٦- يمكن للباحث أن يستنبط أهم معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق، وهي: بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرىٰ، مواصلة الجهاد الذي أمر به الرسول ه ، والعدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، ورفع الإكراه عن الأمم المفتوحة وإزالة الحاجز البشري بينهم وبين الإسلام.

٥٧- إن المطالع للفتوحات في عهد الصديق رضي الله عنه يمكن له أن يستنتج خطوطًا رئيسة للخطة الحربية التي سار عليها، وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنة الأخذ بالأسباب؟ وكيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملا من عوامل نزول النصر والتمكين من الله آ للمسلمين، ومن هذه الخطوط ما يلي: عدم الإيغال في بلاد العدو حتىٰ تدين للمسلمين، التعبئة وحشد القوات، تنظيم عملية الإعداد للجيوش، تحديد الهدف من الحرب، وإعطاء الأفضلية لمسارح العمليات، عزل ميدان المعركة، التطور في أساليب القتال، سلامة خطوط الاتصال مع القادة، ذكاء الخليفة وفطنته.

٥٨- بيَّن الصديق في توجيهاته للقادة والجنود حقوق الله تعالىٰ؛ كمصابرة العدو، وإخلاص قتالهم لله، وأداء الأمانة، وعدم الممالأة والمحاباة في نصر دين الله. ووضع حقوق القادة علىٰ الجنود والرعية؛ كالتزام طاعته، والمسارعة إلىٰ امتثال أمره، وعدم مسارعته في شيء من قسمة الغنائم، وغير ذلك من الحقوق. وفصَّل الصديق رضي الله عنه من خلال وصاياه ورسائله في حقوق الجند؛ كاستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وأن يقيم عليهم العرفاء والنقباء، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد ما يحتاج إليه الجند

من زاد وعلوفة، والتعرف علىٰ أخبار العدو بالجواسيس الثقاة لسلامة الجند، وتحريضهم علىٰ الجهاد، وتذكيرهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق، وأن ينهاهم عن الاشتغال عن الجهاد بزراعة أو تجارة، وكل هذه الحقوق قد استخرجت من رسائله ووصاياه للقادة.

٥٩- إن المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يرىٰ توفيق الله تعالىٰ لجيوش الخليفة أبي بكر ﵁؛ فقد استطاعت تلك الجيوش المظفرة أن تكسر شوكة الرومان والفرس وفتح تلك الديار في وقت قياسي في تاريخ الحروب، ومن أهم أسباب تلك الفتوح: إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله، تأصل الصفات الحربية في المسلمين، سماحة المسلمين وعدالتهم مع تلك الشعوب، رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفاؤهم بعهودهم، ثروة المسلمين الواسعة من الرجال والقادة العظام، إحكام الخطة الإسلامية الحربية، وغير ذلك من الأسباب.

٦٠- عندما نزل المرض بالصديق وأشرف علىٰ الموت قام بعدة إجراءات عملية لتتم عملية اختيار الخليفة القادم، وهي: استشار كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبعد أن تم ترشيح الصديق لعمر ووافق معظم الصحابة علىٰ ذلك، كتب عهدًا مكتوبًا يقرأ علىٰ الناس في المدينة وفي الأمصار، وأخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة وعرفه ما عزم عليه وألزمه بذلك، وأبلغ الناس بلسانه واعيًا مدركًا حتىٰ لا يحصل أي لبس، وتوجه بالدعاء إلىٰ الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وكلف عثمان بن عفان أن يتولىٰ قراءة العهد علىٰ الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موته، وقام بتوجيه الفاروق عندما اختلىٰ به.

٦١- إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصديق في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورىٰ بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة

فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر بالشورىٰ والاتفاق، ولم يرد في التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحدًا نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع علىٰ خلافته وعلىٰ طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة.

٦٢- خرج أبو بكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق، وستظل الحضارة الإنسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول ﷺ بعد وفاته، وحمىٰ غرسه عليه الصلاة والسلام، وقام برعاية بذور العدل والحرية وسقاها أزكىٰ دماء الشهداء، فآتت من كل الثمرات عطاء جزيلًا، حقق عبر التاريخ تقدمًا عظيمًا في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق؛ لأنه بجهاده الرائع وبصبره العظيم حمىٰ الله به دين الإسلام في ثباته في الردة، ونشر الله به الإسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة.

